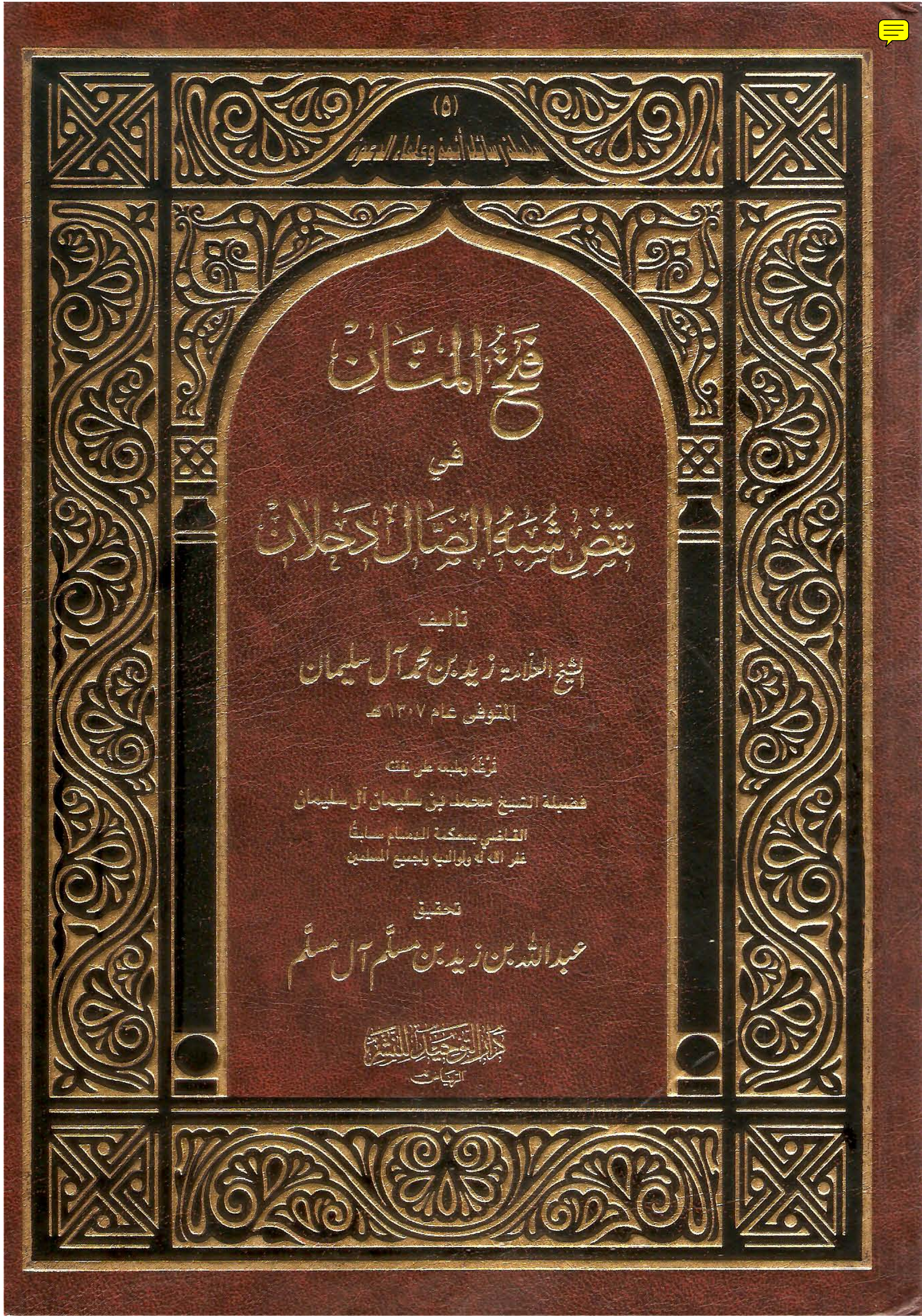

(٥)
فتح المنان
في
نقض شبه الضال دحلان
تأليف
الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان
المتوفى عام ١٣٠٧هـ
وقفه وطبعه على نفقته
فضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان
القاضي بمحكمة الدمام سابقاً
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
تحقيق
عبد الله بن زيد بن مسلم آل مسلم
دار التوحيد للنشر
الرياض

فَتْحُ المَنَّان

في

نَقْضِ شُبَه الضَّال دَحلان

ح دار التوحيد ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سليمان، زيد بن محمد

فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان./زيد بن محمد آل سليمان؛ عبدالله زيد مسلّم آل مسلّم.- الرياض ، ١٤٢٦هـ

٢١٦ص ؛ ١٧ × ٢٤سم.

ردمك : ٦ - ٨ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن ٢ - الدعوة السلفية - السعودية أ. آل مسلّم ، عبدالله زيد مسلّم (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٤٠,٩٠١ ٩٤٩ / ١٤٢٦

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٩٤٩

ردمك : ٦ - ٨ - ٩٤٩٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ

الناشر

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية

ص.ب ١٠٤٦٤ - الرياض ١١٤٣٣

هاتف وفاكس ٤٢٥٩٩٩٠

Dar_attawhed.pub.sa@naseej.com

(٥)

سلسلة رسائل أئمة وعلماء الدعوة

فتح المنان
في
نقض شبه الضال دحلان

تأليف

الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان

المتوفى عام ١٣٠٧ هـ

قَرَّظَهُ وطبعه على نفقته

فضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان

القاضي بمحكمة الدمام سابقًا

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تحقيق

عبدالله بن زيد بن مسلَّم آل مسلَّم



بسم الله الرحمن الرحيم

تقريـظ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا.

أما بعد :

فإن من حكمة الله تعالىٰ أن جعل بعض النفوس تميل إلىٰ الباطل واتباع الهوىٰ والصدِّ عن سبيل الله، ومازالت الأمة الإسلامية تعاني من تلك النفوس من أقلامهم المسمومة وترَّهاتهم المشينة يصدُّون بها الناس عن طريق الحق، وما قام قائم بدعوة التوحيد ونبذ الشرك والبدع إلاّ نبذوه وعابوه وأقبلوا بخيلهم ورجلهم عليه وعلىٰ أتباعه يذمُّون ويحذِّرون ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٥]، ومن هؤلاء الذين اتخذوا الكذب مطية تجاه الدعاة الصادقين رجل ينتسب إلىٰ العلم مقيم بمكة يقال له أحمد زيني دحلان حيث ألّف كتابًا مشحونًا بالكذب والضلال علىٰ دعاة التوحيد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ولا سيما علىٰ إمامهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ فانبرىٰ له العلماء المخلصون ينفون عن عقيدة التوحيد تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ومن هؤلاء الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان ـ رحمه الله ـ

فنقض بنيان كتابه وهدَّم أركانه حيث ألف كتابه «فتح المنَّان في نقض شُبه الضَّال دحلان»، وقد يسَّر الله للابن عبدالله بن زيد بن مسلّم آل مسلّم الاعتناء بهذا المؤلف ونشره، وقد أتمه قراءة عليَّ وفقه الله وأجزل له الأجر، وإنَّ نشر مثل هذا الكتاب وغيره من كتب العقيدة والرِّد على أهل البدع والأهواء هو دفاع عن منهج أهل السنة والذَّبِّ عن دعاتها المخلصين، فجزىٰ الله المؤلِّف والمحقق خير الجزاء.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

قاله وأملاه

محمد بن سليمان آل سليمان



قاضي التمييز بمحكمة الدمام سابقاً

١١ / محرم / ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله معزِّ التوحيد بنصره ومذِّل الشرك بقهره، ومصرِّف الأحوال بأمره، الذي أظهر دينه على الدين كلِّه، أحمده على إعزازه لأوليائه وخفضه لأعدائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أحيا الله به الدين القويم وهدىٰ به إلىٰ الصراط المستقيم فجعله محجة للسالكين وحجة على المعاندين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفىٰ آثارهم وسلّم تسليما كثيراً إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ منَّ علىٰ هذه الأمة أن أقام فيها أئمة يهدون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، بإذنه سبحانه تُشَاد بهم الملَّة وتطمس معالم الشرك والبدعة، ويدمغ بهم الطغيان ويرفع بهم من دينه الشعائر والأركان، وإنَّ من جملة هؤلاء الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٦هـ) ـ رحمه الله ـ وأبناءه وتلاميذه وأعوانه وأتباعه ومن سار علىٰ نهجهم قد صرفوا نفائس أوقاتهم في أعظم مرغوب توحيد علاَّم الغيوب.

كيف لا ولأجله خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، ولقد عمَّت دعوتهم كثيراً من البلاد وقام بتأييدها ودعمها كلُّ من بصّره الله وأراد به خيرا

وسَلِمَ من اتباع الهوىٰ وسلك سبيل الإنصاف.

وقد أثنىٰ علىٰ هذه الدعوة المباركة كثير من العلماء والأعيان من مختلف البلدان فها هو الشيخ محمد الحفظي التهامي (ت ١٣٣٧هـ) يقول ـ رحمه الله ـ في قصيدة موجهة إلىٰ القاضي عبدالرحمن بن حسن البهلكي ـ رحمه الله ـ مثنياً فيها علىٰ الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

والحق أولىٰ أَن يجاب وإنما ... لم أَدر ما حيلولة المتحيِّلِ
إن كان ظنّا أَنَّ ذاك مخالف ... فهو البريءُ من الخلاف المبطلِ
بل قام يدعو الناس للتوحيـ ... ـد والتجريد والتفريد للربِّ العلي
ويذب عن شرع النبي محمد ... ويذم من يدعو النبي أو الولي
ولقد أصاب فكم أزال شنائعًا ... وبدائعًا وصنائعًا لم تقبل
أو كان ظنّا أَن فيه غلاظة ... وفظاظة وشكاسة لم تحمل
فأقول حاشا إن فيه ليونة ... وهيونة للمقبل المستقبلِ

إلىٰ أن قال رحمه الله:

بل قصده التوحيد في أقوالنا[1] ... ثم اتباع للنبيِّ المرسلِ
هذان ليس سواهما مقصوده ... فعلام ينفر كل ندب أفضل
فالواجب الشرعي إجابة من دعا ... لهما ولو عبداً فكيف بمن ولي[2]

وقال الشيخ حسن بن أحمد عاكش الضمدي (ت ١٢٩٠هـ): «فإن عامة

(١) جاء في حاشية المصدر: (في نفحات من عسير): أفعالنا.

(٢) «الديباج الخسرواني» لحسن بن أحمد عاكش (٨٣ ـ ٨٤).

ما هم عليه هو الدعوة إلىٰ التوحيد وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد، وهدم ما أمر الشرع بهدمه . . . وكلام من تكلَّم إنَّما هو بحسب العصبية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية فإن بدعوتهم زالت بدع كثيرات وارتدع الناس عن المنكرات فجزاهم الله خيراً والأعمال بالنيات، وقد أبان السيد الإمام الكبير إبراهيم بن محمد الأمير ـ (ت ١٢١٣هـ) ـ رحمه الله تعالىٰ في مؤلفه الذي سمَّاه (فتح الكبير المتعال الفارق بين الهدىٰ والضلال) طريقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستدل علىٰ صحة مادعا الخلق عليه بما لا يبقىٰ لمنصف بعده ارتياب أنَّه علىٰ طريق الصواب، والله أعلم»[1].

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في ترجمة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود: «وكان قائد جيوش أبيه عبدالعزيز وكان جده محمد شيخًا لقريته التي هو فيها فوصل إليه الشيخ العلامة محمد بن عبدالوهاب الداعي إلىٰ التوحيد المنكر علىٰ المعتقدين في الأموات . . »[2].

وقال الشيخ الإمام عبدالكريم بن فخر الدين الهندي ـ رحمه الله ـ: «فأمَّا الذي جاء في ذمِّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب فمن أعدائه وعامة عدواتهم له لأنه هدم أسباب الشرك وخرَّب بنيان الباطل ودعا إلىٰ التوحيد مصداق ذلك: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وكتاب (التوحيد) له شاهد علىٰ ذلك ومفيدٌ وإن كان هو من نوع البشر

(١) «الديباج الخسرواني» (ص ٨٨ ـ ٨٩) ت / د. إسماعيل البشري.

(٢) «البدر الطالع» (ص ٢٧٣).

غير معصوم لكن كلام الأعداء فيه غير مقبول ـ إلىٰ أن قال ـ قال في : (الصواعق الإلهية) بالفارسية ما تعريبه : قد عُلِم برواية الثقات أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان إمامًا من أئمة الطريقة آمراً بالمعروف المشروع ناهيًا عن المنكر الممنوع وحاز قصبات السبق علىٰ كبراء المعاصرين له في الدعوة إلىٰ التوحيد والاعتصام بالسنة والاجتناب عن الشرك والبدعة . . . ومشايخ اليمن أنشدوا في مدائحه نشائد وعملوا في مناقبه الجميلة قصائد . . . »[١] .

وقال العامة الفاضل محمد المكي بن عزوز التونسي (ت ١٣٣٤هـ) ضمن كتاب راسل به الأستاذ العلامة عبدالرزاق البيطار : « . . . وقد كنت طالعت الرسائل المؤلفة من محمد بن عبدالوهاب وأصحابه ورأيت ما كتبه الجبرتي في (تاريخه) من عقائدهم وسيرتهم فما هي إلاَّ طريقة السُّنَّة ليس فيها ما ينكر . . . »[٢] .

وقال أَحد مؤرخي جنوب الجزيرة العربية : «ظهر الطاعات وتعلَّم الجهال وتبدّلت الأحوال وأصبحنا بحمد الله إخوانًا وعلىٰ الحق أَعوانًا وكل هذه الحسنات والبركات مكتوبة ـ إن شاء الله ـ في صحائف الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والإمام عبدالعزيز[٣] جزاهم الله خيرا»[٤] .

ولم أستقص من أثنىٰ علىٰ الدعوة وعلمائها وماذكروه تجاهها ، وبسط

(١) «البيان والإشهار» لفوزان السابق (ص ٤٣) ط ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر : «الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي» (ص ١٠٥) جمع محمد العجمي .

(٣) الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨هـ) .

(٤) «أَثر الدعوة في جنوب الجزيرة العربية» لعبدالله أبو داهش (١/ ٣٤٣) .

ذلك في غير ما كتاب[١]. وإنَّ هؤلاء قد سلكوا سبيل الإنصاف والصدق والحق المبين، ولم يتحلوا بحلية الزور والكذب والباطل المهين كما هي حال أهل البدع والقبوريين الذين لبسوا القول وزخرفوه غرورا تمويهًا للباطل وتشكيكًا في الحق، ولم يسلم الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته التي جدد الله بها ما اندرس من معالم الشريعة من قوم امتلأت قلوبهم غيظًا وكمداً وأُشربتِ للفتنة حبًّا، شبهات واهية وتُرَّهات متناهية يصدون بها الناس عن الحق، وإنَّ العاقل المنصف إذا نظر فيها عَلِم أنها من الباطل الذي لايشك فيه ولا يستريب فضلاً عمن له في علم التوحيد أدنىٰ نصيب، فوالله إنَّ براهين التوحيد ساطعة وحجج الكتاب والسنة قاطعة وعبارات علماء الإسلام واضحة ولكن ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وإن من أولئك الذين لم يسلم منهم الشيخ ودعوته المدعو أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ)[٢] ألف في ذلك:

١ ـ الدرر السنية في الرد علىٰ الوهابية وقد طبع عدة مرات[٣].

٢ ـ فتنة الوهابية[٤].

---

(١) انظر: «دعاوىٰ المناوئين» للدكتور عبدالعزيز العبد اللطيف و «إسلامية لا وهابية» للدكتور ناصر العقل.

(٢) أحمد بن زيني دحلان ولد سنة ١٢٣٢هـ بمكة وتولىٰ فيها الإفتاء والتدريس شافعي المذهب توفي بالمدينة سنة ١٣٠٤هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

(٣) انظر: «دعاوىٰ المناوئين» (ص٥١).

(٤) انظر: «كتب حذر منها العلماء» لمشهور آل سلمان (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

ورسالته (الدرر السنية) تدور مسائلها على قطب الكذب والإفتراء على الشيخ محمد، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه[(١)].

وقد تصدى للرد عليه غير واحد من أهل العلم من نجد ومن خارجها منهم:

١ـ الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (ت ١٣٢٦هـ) في كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» جاء في مقدمة كتابه رحمه الله قوله: «أما بعد فإني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان أنقذه الله من دحلان الخذلان، وسمّاها (الدرر السنية في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدَّعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والأحاديث النبوية فتعجبت منه التعجب الصراح، كيف لا وليس في الباب حديث واحد حسن فضلاً عن الصحاح، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كَذَب كَذِب المجادل الضرير فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين، محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين. . .»[(٢)].

٢ـ الشيخ عبدالكريم بن فخر الدين الهندي بكتاب سمَّاه «الحق المبين في الرد على اللهابية المبتدعين»[(٣)].

---

(١) من مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان» (ص٨).

(٢) «صيانة الإنسان» (ص٢٠) ط. السلفية ١٣٧٨هـ.

(٣) «دعاوى المناوئين» (ص ٦٦).

جاء فيه : «فتأمل إن كنت من طالبي الحق مافي رسالة ابن دحلان وحال كثير من أهل الزمان تجده قد لبس تلبيسًا وزخرف القول غروراً وتمويهًا للباطل وتشكيكًا منثوراً . . فما باله يغمض عينيه عن الشركيات ولا يتعرض لما هم عليه من الكفريات كما بين ما فيهم الإمام الشوكاني وأظهر ما لديهم القاصي والداني، أفتعرفه ناصحًا للأمة المرحومة، كيف وقد صنع صنيعًا يهلكهم ولا ينجيهم من المفاسد وخصال مذمومة، وإنما فعل ذلك خوفًا من الناس أن يقولوا في شأنه وهَّابي أو منكر الأولياء فيهان ويزال عن مرتبته ويُخرج من الحرم كما أخرج كثير ممن يظهر الحق . . . »(١) .

٣ـ الشيخ صالح بن محمد الشثري (ت ١٣٠٩هـ) رد عليه بكتاب سمّاه «تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان»(٢) .

٤ـ الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي (ت ١٣٢٩هـ) رد عليه بكتاب لم يزل مخطوطًا اسمه «تلخيص الكلام في الرد على أحمد زيني دحلان»(٣) .

٥ـ الشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ) نظم قصيدة ردَّ بها على كتاب دحلان عنوانها «المواهب الربانية في الانتصار للطائفة الوهابية ورد أضاليل الشبه الدحلانية»، تزيد أبياتها عن خمسمائة بيت(٤) .

(١) انظر «البيان والإشهار» لفوزان السابق (ص٥٧).

(٢) طبع بتحقيق الدكتور محمد بن ناصر الشثري، ط ١٤٢١هـ.

(٣) انظر : «تشنيف الأسماع» لابن عيسى (ص ٩٩)، ت/ عبدالعزيز الجبرين.

(٤) «الشيخ سليمان بن سمحان وطريقته في تقرير العقيدة» (ص ١٥٠).

٦ـ الشيخ زيد بن محمد آل سليمان (ت ١٣٠٧هـ) وهو الكتاب الذي بين يديك قال فيه ـ رحمه الله ـ : «ولولا ما نقصده من انتفاع من اطلع على هذه الرسالة لم نتعرض لردِّ شيءٍ من كلامه لظهور بطلانه»[١] .

ومازال أهل البدع ينشرون كتب دحلان وكتب غيره في جواز التوسل بالأموات ودعاء المقبورين ومحاربة الدعوة السلفية ودعاتها المخلصين. لذا كان لازمًا التحذير من هذه الدعوات المغرضة بشتى الوسائل لاسيما أنَّ كثيرًا من الناس قد انطوت عليه افتراءات دحلان وغيره وتأثروا بها، ووالله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءَتِها، إلاَّ إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وإنَّ طلوع الشمس من مغربها، وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده مادام أنَّ من ينتسب إلى الإسلام يقفون بين يدي الجيلاني أو غيره كما يقفون بين يدي الله ويقولون للأول كما يقولون للثاني: «أنت المتصرف في الكائنات» إنَّ الله أغير على نفسه من أن يسعد أقوامًا يزدرونه ويحتقرونه ويتخذونه وراءهم ظهريًّا، فإذا نزلت بهم جائحة، أو ألَمّت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أَن يذكروه، ونادوا الجذع قبل أَن ينادوه. أيُّ عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع، فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤثر المحزن[٢] . وأيُّ نفسٍ يَعزُّ عليها أن تتحرك في

---

(١) وقد ذكر أنّ للشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت ١٣١٩هـ) رد على دحلان. انظر: «الأجوبة السمعيات» (ص ٢٤) ت/ عادل المرشدي.

(٢) من مقال مصطفى المنفلوطي بتصرف، انظر: «دمعة على التوحيد» ط. المنتدى الإسلامي.

ذات الله فلا كلمة حق تقولها ولا نصيحة تبذلها، فكم من رجل اليوم شَغَل قَلْبَه ببدعة قلّد فيها دينَهُ رجالاً دون أَصحاب رسول الله ﷺ أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهُدى إلا فيها ولا يَرى الضلالة إلا بتركها، يزعم أَنه أخذها من القرآن وهو يدعو إلى فراق القرآن، أفما كان للقرآن حملة قَبْلَه وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه؟ وكانوا منه على منار لِوَضَح الطريق، وكان القرآن إمام رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إماماً لأصحابه، وكان أَصحابه أئمة لمن بعدهم رجالٌ معرفون منسوبون في البلدان متفقون في الرِّد على أَصحاب الأهواء مع ما كان بينهم من الاختلاف وتَسَكُّع أَصحاب الأهواء برأْيهم في سبل مختلفةٍ جائرة عن القصد، مفارقة للصراط المستقيم، فتوهت بهم أَدلاَّؤهم في مَهامِهَ مُضِلَّة، فأمعنوا فيها متعسفين في تِيهِهِم، كُلَّما أَحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتِهم، انتقلوا منها إلى غيرها لأنهم لم يطلبوا أثر السابقين ولم يقتدوا بالمهاجرين(١).

نعم أَين أثر السابقين؟ وأين الاقتداء بالسلف الصالح أهل القرون المفضلة؟

فكم من مدعٍ اليوم الرجوع إلى الكتاب والسنة! يقولها بلسانه ويكذبها عمله، وإنما يستعطف بها المشاعر ويستلهب الحماس ليروِّج باطله ويبث أكاذيبه. والله المسؤول أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقنا للعمل بكتابه وسنة

---

(١) من رسالة عبَّاد الخوَّاص الشامي، انظر: «سنن الدارمي» (رقم/ ٦٧٢).

نبيه ﷺ، ونسأله سبحانه أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلِّين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فخذها نبالاً من حنيف موحِّد تمزِّق من سوءِ العقيدة ما يُردِي

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

وكتب

عبدالله بن زيد بن مسلّم آل مسلّم

١٦/ محرم/ ١٤٢٦هـ

الرياض

ترجمة المؤلف

هو الشيخ الإمام الزاهد زيد بن محمد بن سليمان بن مهنا العائذي قال الشيخ عبدالله البسام: «آل عائذ أحد البطون الكبيرة من قبيلة عَبيدة إحدىٰ قبائل قحطان»[1]، وولد في بلد الحريق[2] في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري تقريبًا، طلب العلم صغيراً فقرأ القرآن علىٰ مقرئ وتعلَّم في الكتاتيب ثم التحق بمجالس العلماء والقضاة ومن أَبرزهم:

١ـ الشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٤٥هـ).

٢ـ الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥هـ).

٣ـ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (ت ١٢٩٣هـ).

٤ـ الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٧٠هـ).

٥ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين (ت ١٢٨٢هـ).

٦ـ الشيخ عبدالرحمن بن عدوان قاضي الرياض (ت ١٢٨٦هـ).

وجدَّ واجتهد حتىٰ أَدرك، وحصّل الأصول والفروع حتىٰ عُدَّ من كبار العلماء قال عنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ت ١٢٩٣هـ): **«وأنت ولله الحمد من مفاتي هذه الأُمّة في عصرك، يشار إليك ويقتدى بك بين أهل دهرك»**[3].

---

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٢/ ٢٠٩).

(٢) بلدة في أعلىٰ وادي نعام جنوب الرياض انظر: «معجم اليمامة» لابن خميس (١/ ٣١٢).

(٣) «عيون الرسائل» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ت/ حسين بوا (١/ ٤٥٣).

وقال عنه أيضًا : **«ولولا أنكم من طلبة العلم، والممارسين الذين يكتفون بالإشارة وأصول المسائل لكتبت رسالة مبسوطة...»**[(١)].

وقال عنه الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) : **«الشيخ زيد بن محمد العالم المعروف في حريق نعام وهو من عائذ كان عالمًا فاضلاً رحمه الله تعالى»**[(٢)].

وعَدَّه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ) من العلماء المعروفين في نجد[(٣)].

ولما استولى الأمير محمد بن رشيد على نجد عينه قاضيًا في بلد الحريق فرفض رحمه الله ورعًا وحبًّا للسلامة[(٤)]، وكان إذ ذاك كبيرًا في السِّنِّ.

وكان رحمه الله يكتب الوثائق والمبايعات فقد اطلعت على بعض مما كتبه.

وأفتى رحمه الله ودرّس ونفع الله به خلقًا كثيرًا لا يُحصون كثرة، ومن أَشهر ممن تتلمذ عليه وحضر مجالسه:

١ـ ابنه عبدالعزيز.

٢ ـ ابنه محمد.

٣ـ إبراهيم بن حمد آل سهل الشثري.

٤ ـ سعد بن عيسى بن رشود القويزاني.

٥ ـ محمد بن حسين بن جريبة.

٦ ـ محمد بن علي بن إبراهيم الشثري.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٨٨٩).

(٢) «تاريخ ابن عيسى» (نسخة مصوّرة) (ص٢٥٦).

(٣) انظر : «الدرر السنية» لابن قاسم (٧/ ٢٦٥) ط. الثانية ١٣٨٥هـ.

(٤) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (٢/ ٢٠٩).

٧ـ عبدالله بن عبدالرحمن الحوطي .

٨ـ محمد بن زيد بن جساس

٩ـ إبراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالله الشثري .

١٠ـ سعود بن محمد بن عجلان .

١١ـ عبدالله بن علي بن جريس .

١٢ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن فارس .

١٣ـ محمد بن عبدالرحمن بن فارس .

١٤ـ راشد بن عبدالله بن حسين آل سليمان .

١٥ـ إبراهيم بن عيسىٰ الشثري .

١٦ـ عبدالله بن سعد بن عوين .

١٧ـ محمد بن علي آل موسىٰ .

١٨ـ علي بن محمد الطيار .

١٩ـ عبدالله بن أحمد العجيري .

٢٠ـ حمد بن حسين بن حمد آل الشيخ .

٢١ـ عبدالعزيز بن حسين بن حمد آل الشيخ .

٢٢ـ محمد بن زيد الأحمد التميمي (ابن عميقان) .

٢٣ـ حسين بن ناصر الحوطي ، وغيرهم من أهل حوطة بني تميم والحريق ونعام .

أما من درس عليه من خارج المنطقة فمن أبرزهم :

١ ـ الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ (ت ١٣٦٧هـ) .

٢ ـ الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن (ت ١٣١٩هـ) .

٣ ـ الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف الباهلي (قاضي شقراء) (ت١٣٥٢هـ)[١] .

٤ ـ الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (ت١٣١٧هـ) .

٥ ـ الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عتيق (ت ١٣٥٩هـ) .

اشتهر رحم الله بالزهد والورع والأخلاق العالية والمناقب الحسنة يصدق فيه قول الشاعر :

هَزَمَت مَكَارِمُه المَكَارِمَ كلَّها حتَّى كأنَّ المكْرُمَاتِ قَبَائل

وكانت له رحمه الله مكانة مرموقة وكلمة مسموعة عند الناس والولاة، وله مع مشايخه وغيرهم من العلماء والأمراء في زمانه مراسلات علمية ونصائح توجيهية .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن للشيخ زيد في رسالة له :

«كذلك لا تدخر نصح سعود[٢] بالمكاتبة والنصائح والتذكير وابسط

---

(١) ذكر ذلك الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان نقلاً عن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف الباهلي (قاضي الحريق سابقاً) .

(٢) الإمام سعود بن فيصل بن تركي (ت ١٢٩١هـ) .

القول»[١].

ومن أمثلة تلك الرسائل[٢] :

الأولى : رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن.

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالرحمن بن حسن إلى الإخوان صالح ابن محمد الشثري وزيد بن محمد آل سليمان وإخوانهم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن الحال جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحق فاتّبعه، وقابل النعم بشكرها، وأوصيكم بتدبر أنوار الكتاب التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ليس دونها قتر ولا سحاب لا سيما دلائل التوحيد، والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومكملاته ومقتضياته، ثم التفطن فيما يناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته، فالخطر به شديد، ولا يسلم منه إلاَّ من وُفِّق للصبر والتأييد والفعل الحميد، والقول السديد. . . جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة وأخلص لله أقواله وأعماله والسلام»[٣].

الثانية : رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن.

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخ المكرم زيد بن محمد زاده الله علمًا، ووهب لنا وله حكمًا سلام عليكم ورحمة الله

(١) انظر : «عيون الرسائل» ت/ حسين بوا (٢/ ٩٤٦).

(٢) لم أذكر نص كل رسالة كاملاً لطول الرسائل، والمراد بيان المراسلات.

(٣) انظر : «المراسلات» (ص١٢٤) للشيخ عبدالرحمن بن حسن عناية الشيخ إسماعيل بن عتيق.

وبركاته وبعد: فالخط الذي فيه المسائل وصل، وحصل من الاشتغال والموانع، ما اقتضى تأخر الجواب ونسأل الله لنا الإعانة على ما يقرّب إليه من العلم والعمل، فأَمّا المسألة الأولى عن قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، وقول السائل: إنَّ الرب تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء، وقد قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٢] فالجواب وبالله التوفيق. . .

وأَمَّا المسألة الثانية: عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ الآية [سورة يونس، الآية: ٦٦]. . .

أَمَّا المسألة الثالثة: عن قولك: أسألك بمعاقد العز من عرشك. . .

وأَمَّا المسألة الرابعة: عن قوله ﷺ في الدعاء المشهور: «**إلى من تكلني إليه إلى بعيد يتجهمني...**» إلخ المسائل والأجوبة[(١)].

وله مع الشيخ عبداللطيف رسائل كثيرة انظرها في كتاب (عيون الرسائل والأجوبة على المسائل) للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن[(٢)].

---

(١) «عيون الرسائل» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن. ت/ حسين بوا (ص ٣٢٦-٣٥٩).

(٢) تحقيق/ حسين بوا (١/ ص٤٣٦ و ٤٤٥) (٢/ ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٦٧ و ٨٨٢، ٩٤٥، ٩٤٧).

الثالثة : رسالة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين.

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن عبدالرحمن إلىٰ الأخ المحب زيد ابن محمد زاده الله إيمانًا وعلمًا ووهب لنا وله حكمًا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فموجب الخط إبلاغكم السلام والسؤال عن الحال أَصلح الله لنا ولكم الدين والدنيا والآخرة، والخط وصل وصلك الله إلىٰ ما تحب وصرف عنا وعنك كل شر برحمته، وجعلنا وإياكم ممن إذا أُنعم عليه شكر وإذا أُبتلي صبر وإذا أَذنب استغفر، وغير ذلك سؤالك عن الحديث الصحيح: «**إنَّ الله خلق آدم على صورته**». . .

وأَمَّا صرف الريال بالجدَد[1] فالذي يظهر لي أَنَّه ليس من مسائل مد عجوة لأَنَّ النحاس الذي في الجدَد غير مقصود. . .، والذي يظهر أَنَّ صرف الريال بالجدد يتمشىٰ علىٰ مذهب الحنفية الذي يعتبرون النقود المغشوشة بالغالب إن كان غالبها فضة فهي فضة وإن كان غالبها نحاس فهي نحاس.

وأَمَّا المحرمة البغدادية فهي من نوع الخزِّ. . .

وأَمَّا حديث النهي عن بيع اللحم بالحيوان فهو من مراسيل سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ، وذكر الإمام أحمد رحمه الله حديثًا مرفوعًا «**لا يباع حيٌّ بميت**» اختلف العلماء في ذلك. . .

وأَمَّا تحريم الرجل امرأته فمعلوم لديكم ما في المسألة من الخلاف الكثير. . .، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم وصلىٰ الله علىٰ محمد وصحبه

---

(١) عملة نقدية.

وأتباعه إلىٰ يوم الدِّين»[١].

رابعًا : رسالة الشيخ عبدالعزيز بن مسفر الدوسري[٢].

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن مسفر إلىٰ الإخوان زيد بن محمد وصالح بن محمد أصلح الله لنا ولهم القلوب وستر لنا ولهم العيوب وغفر لنا ولهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

سألني الأخ محمد بن علي[٣] عن المسألة التي تسألون عنها، وذكرت له أَنَّها لشيخ الإسلام مكتوبة في أوراق وتتبعت الكتب التي عندي ولا وجدتها وبعدُ طالعت في كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) فوجدتها فيه، والظاهر لي أَنَّها مسألتكم بعينها، والله أعلم فقال شيخ الإسلام قدس الله روحه : وقد بيّن الله الفرق في الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام...»[٤].

---

(١) صورة مخطوطة لدىٰ المحقق.

(٢) عبدالعزيز بن مسفر بن عبدالرحمن الدوسري من علماء نجد تتلمذ علىٰ والده الشيخ مسفر بن عبدالرحمن، قاضي وادي الدواسر في القرن الثالث عشر الهجري ودرس علىٰ غيره من العلماء وله مع علماء حوطة بني تميم والحريق وغيرهم مراسلات علمية ونصائح توجيهية.

(٣) الشيخ محمد بن علي بن محمد آل موسىٰ التميمي من الفَرْعة بحوطة بني تميم طلب العلم علىٰ والده وحضر مجالس العلماء والقضاة في بلده ثم ارتحل إلىٰ الرياض وإلىٰ غيرها فقرأ علىٰ العلماء أمثال الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف والشيخ عبدالله أبابطين وله مع مشايخه مراسلات علمية، وكانت له مكانة مرموقة وكلمة مسموعة أفتىٰ ودرّس ونفع الله به توفي قريبًا من عام ١٣٢٥هـ.

(٤) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق.

خامسًا : رسالة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (ت١٣٤٩هـ).

«من سعد بن حمد بن عتيق إلىٰ الإخوان الكرام الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وإبراهيم بن عبدالملك وصالح بن محمد الشثري وزيد بن محمد ومحمد آل عبدالله ومحمد آل عمر آل سليم جعلهم الله من المتبعين للسنة والقرآن، المجاهدين في الله باليد واللسان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه، وأسأله أن يصلِّي علىٰ عبده ورسوله محمد الذي اختاره واصطفاه وجعل الهدىٰ والسعادة في اتباع ما جاء به والأخذ بهداه، وحكم بالضلال والشقاوة علىٰ من خالف هديه واتبع هواه، وقد عرفتم ما حصل في هذه الأزمنة من غربة الدين وترادف الشرك وكثرة المفتونين... وسبب ذلك الإعراض عما جاء به محمد ﷺ من السنة والخروج عن حكم الكتاب الذي أَنزل الله هدىٰ ورحمة وجعله مخرجًا للناس من الظلمة...»[1].

* * *

(١) انظر: «المجموع المفيد من رسائل وفتاوىٰ الشيخ سعد بن عتيق» (ص ٩٩).

ومن مراسلاته للعلماء والقضاة وغيرهم وأجوبته وفتاويه :

١) رسالة للشيخين عبدالله بن عبداللطيف (ت ١٣٣٩هـ)[١] ومحمد بن محمود (ت ١٣٣٥هـ)[٢] من علماء الرياض.

«بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن محمد وصالح الشثري إلىٰ الإخوان الكرام الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن محمود وإخوانهم من طلبة العلم وفقهم الله لطريق السلف الصالح وجعل ميزانهم في طلب الحق بالعلم والإنصاف راجح آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغكم السلام والتحفي والإكرام والنصيحة لكم والشفقة عليكم من موجبات الشحناء والعداوة التي هي ثمرات علم إبليس. . . وقد ساءَنا ما بلغنا عنكم من الاختلاف في الأمر بصيام يوم الغيم والسلف رضوان الله عليهم يحذرون منه، وكان ابن مسعود يكره التربيع ويصلي مع عثمان أربعًا ويقول أكره الخلاف لما قيل له في ذلك. . . »[٣].

٢) رسالة للشيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان (ت ١٢٩٣هـ)[٤].

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه أتوكل من زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري إلىٰ الأخ المكرم الشيخ محمد بن عجلان ألهمه الله الصواب ووفقه لفهم السنة والكتاب سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغك جزيل السلام والتحفي والإكرام جعلك الله هاديًا

---

(١) انظر : «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (١/ ٢١٥).

(٢) انظر : ترجمته في المرجع السابق (٥/ ٤٧٥).

(٣) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق (ناقصة).

(٤) انظر : ترجمته في المرجع السابق (٥/ ٤٧١).

مهديًا ولا يخفاك متَّع الله بحياتك أَنَّا نحبك في الله ويشهد على ذلك الله ويسرنا ما يسرك ويسؤنا ما يشينك ويضرك وطالعنا نسختك التي كتبت في هذه الفتن وما ذكرت فيها من الآيات والأحاديث حق لا مرية فيه ولكن لا تدل على ما رقمت نصًّا ولا ظاهرًا، والمواضع التي استدركوا عليك إخوانك وأنكروها ثلاثة مواضع . . . »[1].

٣) رسالة للشيخ محمد بن عمر بن سليم (ت ١٣٠٨هـ)[2].

«بسم الله الرحمن الرحيم أَحمدك اللهم إذ أَلّفت بين الأرواح مع تباعد النسب والأشباح وجعلتها تلتذ بذكر أحبتها فيك مساء وصباح من زيد بن محمد آل سليمان وصالح بن محمد الشثري إلى الأخ في الله والمحبوب فيه المكرم الشيخ محمد بن عمر بن سليم عمر الله قلبه بالعلم والإيمان وأجاره من مكائد أعدائه من الإنس والجان وجعله هاديًا إليه بالقلب واليد واللسان آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته صدرت في تأكيد المحبة وتحقيق الإخاء في الله والمودة، وإن بدا تفضلاً منك سؤالاً عن الأحبة فنحمد إليك مولانا على ما أسبغ علينا من النعم وحبانا وصرف عنا ما دق وجلَّ من النقم والفتن وكفانا فلربنا الحمد على كل حال وأحبتك بجميل الأحوال لولا فتن الزمان وذهاب الإخوان واندراس العلم في هذا الزمان فبأسمائه الحسنى نبتهل إليه ونتوسل بصفاته العليا عليه ألاَّ يرزأنا في بقية الإخوان ولو كانوا في شاسع

(١) صورة المخطوطة لدى المحقق.

(٢) من علماء القصيم، انظر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (٦/ ٣٤٠)و «روضة الناظرين» للقاضي (٢/ ٢١٩).

الأوطان . . . »[١] .

٤) رسالة للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الوهيبي[٢] .

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مانح الخيرات وأسبابها وميسر الفضائل لطلابها من زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري إلىٰ الأخ في الله والمحبوب فيه المكرم عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن الوهيبي وهب الله له علمًا سالمًا من شوائب التكدير وصان مهجته من أسباب الفتن والتغيير ولا زال واردًا من العلم ما صفىٰ وعاملاً بسيرة المصطفىٰ سلام عليك أَيها الأخ ورحمة الله وبركاته وبعد فإنَّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو جزيل بسطه وعظيم نعماه فلربنا الحمد وله التوجه والصمد . . هذا وخطك الشريف وصل إلينا وصلك الله بالرضا والرضوان ورفعك إلىٰ درجة الإحسان . . »[٣] .

٥) رسالة للشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (ت ١٣١٧هـ) قاضي الدلم[٤] .

«بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن محمد إلىٰ الأخ في الله والمحبوب فيه الشيخ المكرم والمحب المقدّم عبدالله بن حسين المخضوب أصلح الله له من الطوية ما أسر وأحيا به من العلم ما طُمس واندثر آمين سلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغك جزيل السلام والتحفي والإكرام والسؤال عن حالك أحسن الله حالك وأصلح بالك ، ووقاك جميع الشرور

(١) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق .

(٢) ولي قضاء الأحساء ، انظر : «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (٤/ ٢٥١) .

(٣) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق .

(٤) انظر : «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن يسام (٤/ ٧٠) .

والمهالك، وإن سألت عنَّا فنحمد إليك الله على نعمه وأستزيده لي ولك من مزيد إحسانه وكرمه هذا وخطك الشريف وصل وصلك الله إلى خيري الدنيا والآخرة وسرنا طيبك وسلامتك لا زلت بأحسن حال وأَنعم بال، وما ذكرت حفظك الله من جهة كنايات الطلاق فلا أَشرفت على شيء أَعتمده غير ما ذكره الفقهاء من أَنَّ الكنايات خمسة وثلاثين كلمة وغير خافيك حفظك الله أَنَّ الألفاظ قوالب المعاني فما احتمل معنى اللفظ أعطي حكمه...»[١].

٦) رسالة أيضًا للشيخ عبدالله بن حسين المخضوب.

«بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن محمد آل سليمان إلى الأخ في الله والمحبوب فيه الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب أصلح الله له من الطوية ما أَسرَّ وأحيا به من الإنشاء ما انطمس ودُثر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وهو على كل شيءٍ قدير وأسأله اللطف بي وبك في تيسير كل عسير وخطك وصل وصلك الله لكل خير وما أشرت إليه يا أخي من غربة الدين وتظافر المفسدين فالأمر كما ذكرت بل أَزيد مما وصفت نسأَل الله أن يمنَّ بلَّم شعثه ورمِّ تفثه وجمع متفرقه فهو الجواد الكريم، ولله دَرُّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب حيث يقول:

فهذه غربة الدين أَنت بها ... فكن صبوراً ولو في الله أُوذيتا

فنشكوا إلى الله قلوبًا قاسية ونفوسًا مُدبرة متناسية فإنَّا لله وإِنَّا إليه

---

(٢) صورة من المخطوطة لدى المحقق.

راجعون، فلقد قلَّ المساعد مع عظم المطلوب وصعب الإنفراد على النفوس في أَعظم مرغوب، هذا وما أشرت إليه سلمك الله من الأسئلة فسماعك بالمعيديِّ خير من أن تراه وسؤال مثلي يدل على انقراض العلم والعلماء لكن ما أمكن إلاَّ ردُّ السلام مع الإشارة إلى ما تيسر فهاك بضاعة أخيك المزجاة...»(١).

٧) **رسالة للشيخ علي بن محمد الطيار**(٢).

«بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن محمد إلى الأخ المكرم علي بن محمد الطيار أعاذه الله من الاغترار وأَلزمه طريق أهل الاستقامة الأخيار آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغك السلام والسؤال عن حالك والخط وصل أوصلك الله إلى رضاه حيث أفاد طيبكم وصحة أحوالكم وتسأل فيه عن مسائل الأَولى: إذا أخطأ الناس الجمعة هل تسقط عنهم... الثانية: إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدًّا هل يقام عليه أم لا؟... الثالثة: الفرق بين النصحية والتعيير... الرابعة: فالخط فيها سقيم ولا عرفته، وأَما فتنة الشبهة أعاذنا الله وإياكم منها فهي داء العلماء وسببها اعتقاد الباطل والتكلم به وهي البدع... وأما قولك: هل يقال

(١) صورة من المخطوطة لدى المحقق.

(١) صورة من المخطوطة لدى المحقق.

(٢) من طلبة العلم المبرزين من أهل حوطة بني تميم درس على علمائها أَمثال الشيخ عبدالملك بن حسين والشيخ عيسى بن إبراهيم الشثري. ورحل إلى الرياض ودرس على الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف وغيرهما وله شعر في رثاء شيخه عبدالرحمن بن حسن رحمة الله على الجميع وهو والد شريدة الناسخ المشهور.

خليفة الله ونحوه؟ فللعلماء فيها قولان، وكل استدل لقوله. . .، وأما الدعاء بقوله: اللهم تصدق عليَّ فلا مانع من جوازه، وأما استحبابه فيتوقف على ورود الأثر به. . . واعلم أنَّ مسألة نسيان الجمعة لم أجد فيها نصًّا للعلماء فإن وجدتم نصًّا فيها أو في غيرها من المسائل فاكتبوه لنا والله يثيبكم. . .»(١).

٨) **رسالة للشيخ محمد بن علي آل موسى.**

«بسم الله الرحمن الرحيم سؤال ورد على زيد بن محمد آل سليمان من محمد بن علي قال: بعد السلام ورحمة الله وبركاته: أَمَّا ما ذكرت من المسائل فالذي تحرر لنا عن مشايخنا الأولين عبدالله وحسين وإبراهيم وحمد ابن ناصر وإخوانهم ومن آخرهم والدنا الشيخ عبدالرحمن رحمهم الله وهو أَنهم حرروا مائتي الدرهم إحدى وعشرون ريالاً وعشرين المثقال سبعة وعشرين زرًّا(٢) ونصاب التمر أربعمائة وزنة من التمر الموجود في أيدي الناس ومن العيش مائتين وسبعين صاع بصاعهم في الدرعية وهو يقارب فتيا شيخنا عبدالرحمن في الفطرة أن صاع الرسول ﷺ وزنة وثلث أو وزنة ونصف من التمر وأما التحرير بالرطل أو بالدراهم أو بالشعير فيعسر على مثلنا وهذا التحرير الذي ذكرت ما قد سمعته وقد ذكر شيخنا رحمه الله أن صاع النبي ﷺ من الريالية ثمانون ريالاً وأما الصاع اليوم فهو أكبر من

---

(١) صورة المخطوطة لدى المحقق.

(٢) عملة نقدية معروفة قبل زمن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ. قال ذلك الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ في شرح كتاب الزكاة من «الروض المربع» الشريط الرابع.

صاعهم والاحتياط في الدين حسن. . .»[١][٢].

قال القاضي في (روضة الناظرين)[٣]: وله تحقيقات دقيقة عن مقدار أنصبة الزكاة وعن زنة صاع الرسول ﷺ وأنَّه يزن خمسة وسبعين ريالاً فرانسيًا. وجاء عند البسام في (علماء نجد)[٤]: قال تلميذه عبد الرحمن بن عبدالله بن فارس حدثني شيخي زيد بن محمد آل سليمان عن شيخه عبدالرحمن بن حسن أنه أخبره أنَّ زنة صاع الرسول ﷺ خمسة وسبعين ريالاً فرانسيًا.

ومن أجوبته رحمه الله ما نصه: «الحمد لله وحده صورة ما وجدت من جواب الوالد زيد بن محمد رحمه الله: فاعلم أولاً أنَّ هذا الأثر لم يرو عن النبي ﷺ إلا أن يكون من وجه لا يثبت لكنه مروي عن عمر رضي الله عنه من وجوه مرسلة من حديث قتادة ونعيم بن أبي هند وغيرهما كذلك عن ابن مسعود كما ذكره شيخ الإسلام وغيره ولفظه: «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال هو في الجنة فهو في النار ومن قال أنا عالم فهو جاهل» فعلىٰ هذا نسبته مرفوعًا مشكل، وأما مراد عمر فقد قال بعض الناس: إنَّ المراد من قال أنا مؤمن آمنًا من مكر الله وتاليًا علىٰ الله، وقال بعضهم: من قال أنا مؤمن بالطاغوت فهو كافر بالله وكذا من قال: هو في الجنة قطعاً؛ تكذيباً بالحديث

(١) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق.

(٢) انظر: (رسالة في نصاب الزكاة بالريالات) في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٢١) الطبعة الأولىٰ ١٣٤٦هـ.

(٣) «روضة الناظرين» (١/ ١٠٦).

(٤) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٢/ ٢١٠).

«**الأعمال بالخواتيم**» وغير ذلك من أقوال الله أعلم بحالها، والله أعلم بمراد الخليفة الراشد مع أنِّي ما وقفت علىٰ شيءٍ تطمئن إليه النفس، وأمَّا قوله: من قال أنا عالم، فالظاهر فيه كما ذكرت، وأنه يجوز الإخبار بالحال لحاجة أو دفع مظلمة أو نحو ذلك كذلك روي عن جماعة من الصحابة إذا لم يكن فيه مدح نفس أو تزكية، وأخبر الله عن يوسف الصدِّيق بقوله: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾»[1].

وله رحمه الله رسالة في الرد علىٰ من أَوجب صوم يوم الشك[2].

وله خطٌّ فيه تقرير إمامة سعود بن فيصل بن تركي رحمه الله[3].

وكان رحمه الله ممن يقرض الشعر، ومما قاله عفىٰ الله عنه:

بدأت بحمد الله خير المكاسب ... أُحيِّ كتاب جا من خير صاحب
جواب ظريف كالجواهر نظمه ... بَدَا من أديب لا يروم المعائب
سلام علىٰ أخ شفا في قريضه ... جزاه إله الحق جَزْل المواهب
ووالاه ذو الإحسان لطفاً ورحمة ... وصبَّ عليه البِّر من كل جانب
أخا المجد هو المخضوب[4] لا زال ذكره ... مدىٰ الدهر يسموا فوق عالي المراتب
ولا زال محروساً ولا زال سالماً ... ولا زال في الدنيا حميد العواقب

---

(١) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق.

(٢) أصل المخطوطة لدىٰ المحقق.

(٣) انظر: «عيون الرسائل» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، ت/ حسين بوا (٢/ ٨٩٤).

(٤) الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (ت ١٣١٧هـ) قاضي الدلم.

ويحمي حمىٰ التوحيد عن كل ثالب ولا زال في نيل العلوم [لِراَغب][١]
عسىٰ ولعلَّ الله يجمع بيننا فنعمر من ربع الإخا كلَّ جانب
ونسأله عن دقِّ علم وجلِّه ونبحثه عن مشكلات غرائب
ونجني ثماراً في العلوم نفيسة تقاصر عن إدراكها كل طالب
وسلِّم علىٰ أبناء الإمام مكرراً ملوكٍ تساموا كالنجوم الثواقب
وبلِّغهم مني جميعاً نصيحة فلا دين إلا بعد سلِّ القواضب
وأهدي صلاة الله ثم سلامه إلىٰ خير مبعوث بخير المطالب
كذا الآل والأصحاب ما لاح بارق وما انهلَّ ودَق من خلال السحائب[٢]

وهذه القصيدة إجابة علىٰ قصيدة للشيخ عبدالله بن حسين المخضوب (ت ١٣١٧هـ) قاضي الدلم رحمه الله قال فيها:

فبينا أنا مبدٍ انتظار مراقب وأَشواق ذي ودٍّ لحبٍّ مقارب
أتاني كتاب منِ أخ لي كأنه قلائد دُرٍّ في نحور الكواعب
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبًا بأكرم آت جاء من خير صاحب
وقبّلته أَلفاً وأَلفاً قرأته وضميته بين الحشا والترائب
وزاد الحشا من قوم زيد زوائداً غدوت بها جذلان أو مثل شارب

(١) جاء في المخطوطة كلمة (مشمرا) ولا تستقيم مع قافية القصيدة فأَضاف كلمة (لراغب) فضيلة شيخنا إسماعيل بن سعد بن عتيق ـ حفظه الله ـ.

(٢) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق.

وهاجت به ريح الصبا فصبا لها ... وأدبر عن ريح الجنوب مجانب
وذكرتني أَيَّام وصل بقربكم ... كأنِّي بها في عيد لقي الحبائب
عسىٰ ولعلَّ الله يجمع شملنا ... فربي قريب مستجيب لطالب
فنعمر من ربع العلوم مجالسا ... ونسلوا بها عن كل دان وعائب
ونلقط من دُرِّ العلوم نفائسًا ... ونُخْرِجُ من أصدافها دُرُّ راغب
وأَسأل مولانا يديم بقاءَكم ... ويهدي بكم فينا لخير المكاسب
ويجزيكم الفردوس يوم لقائه ... ويجعلكم في الناظرين الأطائب
فلا زلت محفوظاً ولا زلت سالماً ... ولا زلت في عفو من الربِّ دائب
ولا زلت محروس الجناب ممتعًا ... تسير علىٰ نور من الحق ثاقب
وأبلغ سلامي كلَّ من قد أحبكم ... ووالاكموا لله من كلِّ صاحب
وأزكىٰ صلاة مع سلام ورحمة ... علىٰ من غدا يدعو لخير المطالب
محمد الهادي لكل فضيلة ... وناه الورىٰ عن كل ردءٍ وعائب
كذا الصحب والاتباع حفاظ شرعنا ... هداة رضاة هم لنا كالكواكب(١)

ويظهر أن قصيدة الشيخ عبدالله المخضوب قد سبقها مكتوب من الشيخ زيد تضمن أجوبة أو أبيات أو رسالة أخوية حيث جاء في أول الأبيات (أَتاني كتاب من أخي لي).

(١) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق (لها نسختان).

وقد أثنىٰ عليه ابن مخضوب بقصيدة طويلة بلغت (٤٢) بيتًا قال فيها رحمه الله :

حمدت إلهًا مُجزلاً للمواهب — علىٰ ما هدىٰ للحق خير المطالب
وأهدي صلاة مع سلام ورحمة — إلىٰ خير خلق الله عالي المراتب
محمد المهدي إلىٰ الناس رحمة — إمام الهدىٰ جمِّ العلا والمناقب
وأتباعه من كل هادٍ ومهتد — علىٰ المنهج المرضي خير المذاهب
ومنهم إمام في الفضائل قد علَىٰ — غدا بينهم كالشمس بين الكواكب
هو المرتضىٰ زيد بن مدعواً محمد — حفيد سليمان العلىٰ خير ناجب
تروي علومًا من شريعة ديننا — فأمسىٰ بها كالبدر جالي الغياهب
غدا منهلاً للواردين تؤمه — تروح وتغدو شاربا بعد شارب
وبات لهم قطبا دليلا لسيرهم — ببر وبحر شرقهم والمغارب
وجلا بنور العلم أظلام أرضنا — فأضحت ضياءً للبعيد وقارب
لقد جمعت فيه المكارم كلها — كما قد تخلا من جميع المعائب
تحلّىٰ بعلم ثم حلم إلىٰ تقىٰ — وزهد وإحسان وكم من مناقب
وأوصافه الحسنىٰ إذا رمت عدها — تزيد علىٰ عَدٍّ وحسبان حاسب

حريص على نفع الورى وهداهموا بـبـذل كـتـاب ثم علم وجـانب
مـجالس أهل العلم أشهى لقلبه من السُّكر المعسول لذَّ لشاربِ
رعى الله أيامـاً مـضت لي بقربه فكانت كـأعـيـاد السُّرور لطالب
فـوالله مـا فـارقـتـه عن مـلالة ولكن بمقدور من الأمـر غـالب
عـسى ولعل الله يجـمـعني به فـربي قـريب مـستـجيب لطالب
فـأسـأله عن مـشكلات مـهـمة أروي بها عِـيًّا من الجـهل تالب
وأجني ثمـار العلم من طيب أصله وأكنزها ذُخـراً لحلِّ النوائب
وأُحيي بها ما مات من ضعف همة بِدا غـفـلات ثم جـهل العـواقب

إلى أن قاله رحمه الله :

سـلامي على حَـبـر تـألق نوره فـأشرق وجه الأرض من كل جانب
ومـا ضَرَّ دُرّاً كـان في صدف خـفي إذا فلقـتـه تجـد للمطالب
سلام بدا من خالص الود والصفى ينوب لديكم عن رهين الجـواذب
فلا زال شيخي دائم الفضل والعلا ولا زال هـاديًا بـالهـدى كل راغب
ولا زال مـحـفـوظاً ولا زال سـالماً ولا زال مـوقـيـا جـمـيع النوائب
ولا زال كل الجسم منه مصـحـحـا ومـستـعـملا في كـامـلات الرغـائب
ولا زال في عـفـو من الرب دائمـاً ويكلؤه رب يرى غـيـر غـائب

ويحمي حمىٰ التوحيد عن كل ملحد ويدحض إفك الملحدين الأكاذب
وأمتعه الرحمن في طاعة له يروح ويغدو في شريف المكاسب
وبوّأه عالي الجنان منعما مع الحور والولدان حور كواعب
ولذذه مولاه بالنظر العلي إلىٰ وجهه الأعلىٰ بدار الأطائب

إلىٰ آخر قصيدته رحمه الله.

عنايته بالكتب :

لقد كان المؤلف رحمه الله ذا عناية فائقة بجمع الكتب سواء بالشراء أو الاستنساخ أو توهب له فهو أهل لذلك فأصبحت مكتبته في وقته رحمه الله من كبريات المكتبات في المنطقة إلا أن هذه المكتبة تناثرت شذر مذر حيث نقل كثير منها إلىٰ الرياض في إحدىٰ المكتبات الخاصة ومن ثم إلىٰ المكتبة السعودية في دار الإفتاء[1] وبعد ذلك نقلت إلىٰ مكتبة الملك فهد الوطنية وما تبقىٰ منها في بلد الحريق قام بإهدائه فضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان ـ حفظه المولىٰ ـ إلىٰ مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ومنها ما وجد في بعض المكتبات الخاصة وعليها تملكات باسم الشيخ رحمه الله أو هو مما قد أوقفه لله عز وجل أو أوقفه ابنه الشيخ عبدالعزيز ولعلي أشير إلىٰ شيء مما تملكه رحمه الله مما قد اطلعت عليه وهو علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) ذكر فضيلة الشيخ محمد بن سليمان وأخوه الشيخ عبدالعزيز حفظهما الله أنه نقل منها إلىٰ الرياض غير مرة حيث نقل في إحدىٰ المرات (٤٠) كتابًا مخطوطًا.

١ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية بخط الشيخ حمد بن عتيق سنة ١٢٥١هـ.

٢ـ تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله بخط إبراهيم بن راشد سنة ١٢٤٦هـ.

٣ـ الجزء الأول من كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي. بخط إبراهيم بن حمد بن سهل سنة ١٢٨٧هـ.

٤ـ كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب بخط سعد بن نبهان سنة ١٢٤٨هـ.

٥ـ كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب بخط محمد بن عبدالله بن سحيم سنة ١٢٧٠هـ.

٦ـ الإقناع لطالب الانتفاع لموسى الحجاوي بخط عبدالله بن محمد الصبيحي سنة ١٠٦٥هـ.

٧ـ المجلد الأول من مدارج السالكين لابن القيم بخط سعد بن نبهان سنة ١٢٧١هـ.

٨ـ جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية لعبد الله بن محمد بن عبدالوهاب بخط إبراهيم بن حسن بن محمود سنة ١٢٢١هـ.

٩ـ الجزء الثاني من بدائع الفوائد لابن القيم بعضه بخط حمد بن عتيق وبقيته إلى آخره بخط إبراهيم بن سبيت العجيري سنة ١٢٦١هـ.

١٠ـ شرح ألفية العراقي (شرح الناظم).

١١ـ مختصر المقنع لشرف الدين الحجاوي بخط حسن بن محمد بن سليمان بن سحيم سنة ١٢٤٢هـ.

١٢ـ بيان المحجة في الرد على صاحب اللّجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بخط الشيخ حمد بن عتيق.

١٣ـ المنظومة الحفطية في الدعوة المرضية لمحمد الحفظي كتبت سنة ١٢٨٧هـ.

١٤ـ كتاب الصلاة لابن القيم الجوزية بخط حمد بن عتيق وعناية الشيخ زيد بن محمد آل سليمان سنة ١٢٦٩هـ.

١٥ـ الجزء الخامس من كتاب شرح مسلم بخط علي بن يوسف بن علي في شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ستين وثمانمائة.

١٦ـ كتاب القدر لابن القيم.

١٧ـ كشف تلبيس الأَفاك المخالل لإبليس داود بن سليمان بن جرجيس للشيخ عبدالله أبابطين.

١٨ـ الحاشية شرح الكافية لمحمد بن عز الدين بن صلاح مخطوط سنة ١٠٥٤هـ.

١٩ـ نور الهدى شرح قطر الندى.

٢٠ـ المجلد الرابع من شرح المقنع لأبي الفرج عبدالرحمن بن قدامة المقدسي.

٢١ـ شرح أَلفية بن مالك .

٢٢ـ الأمثال لابن القيم مخطوط سنة ١٢٤٨هـ .

٢٣ـ قاعدة جامعة في توحيد الإلهية لابن تيمية مخطوط سنة ١٢٤٩هـ .

٢٤ـ مسائل الجاهلية لمحمد بن عبدالوهاب .

٢٥ـ جواب الشيخ حمد بن معمر لأهل الحرم الشريف في الصفات .

٢٦ـ جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن في التهليلات .

٢٧ـ وجواب له أيضًا في الفرق بين الإسلام والإيمان .

٢٨ـ القواعد الأربع لمحمد بن عبدالوهاب .

٢٩ـ جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن في الصفات .

٣٠ـ جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الجبرية والقدرية .

٣١ـ مصباح السالك في أحكام المناسك لسليمان بن علي جد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب .

٣٢ـ قصائد ورسائل لأئمة وعلماء الدعوة النجدية .

٣٣ـ الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين لعبدالله أَبابطين نسخ عام ١٢٨٧هـ .

٣٤ـ حواشي منتهى الإرادات لعثمان بن أحمد النجدي . ناقصة الأخر .

٣٥ـ التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بخط علي بن سعد بن نفيسة سنة ١٢٧٠هـ .

* * *

وفاته :

كان تنتابه في آخر حياته رحمه الله بعض الأمراض التي تقعده الفراش فكان صديقه ومحبه الشيخ صالح الشثري دائم السؤال عنه للإطمئنان عليه كثير المراسلة له فمن رسائله :

«بسم الله الرحمن الرحيم من صالح بن محمد الشثري إلىٰ الأخ المكرم زيد بن محمد شفاه الله وكفاه وحفظ عليه دينه ونفسه ودنياه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغك السلام والسؤال عن حالك وخطك وصل وسرنا عافيتك وبشارتك بأنك صليت في المسجد فالحمد لله رب العالمين ومن طرف قل المكاتبة فلا والله غفلت إلاَّ إن كان ما تصلك الخطوط . . . »[1] .

توفي رحمه الله بعدما أنهىٰ قراءة آخر سورة القمر ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[2] .

جاء في إحدىٰ الوثائق تحديد زمان وفاته رحمه الله ما نصه : «توفي رحمه الله يوم الجمعة ماضٍ أربعة عشر يومًا من ربيع ثاني سنة ١٣٠٧»[3] .

وقد بعث الشيخ صالح بن محمد الشثري إلىٰ أولاده معزيًّا جاء في الرسالة ما نصه :

---

(١) صورة المخطوطة لدىٰ المحقق .

(٢) ذكر ذلك فضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان ـ حفظه الله ـ .

(٣) صورة الوثيقة لدىٰ المحقق .

«بسم الله الرحمن الرحيم من صالح بن محمد الشثري إلى الأبناء الكرام محمد وعبدالعزيز ابني زيد بن محمد ومن حضرهم من الأقارب والإخوان والأرحام أعظم الله لهم الأجر وجرّعهم مرارة الصبر وأسكن أباهم الغرف العليَّة وأجارهم من المحنة في الدين والدنيا الدنيَّة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط بعد إبلاغ السلام والتحية إنهاء التعزية الشرعية أحسن الله عزاءنا وعزاءكم وأعظم جزاءكم وأخلفه فيكم وتولاكم واعلموا أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيءٍ عنده بأجل مسمى وأن المعاب من حُرِم الثواب واستحق العقاب وإنا لنرجو له الكرامة من الله فلقد شهد له المسلمون وهم شهداء الله في أرضه ولقد جادوا له بالدعاء الخاص والعام والحمد لله الذي توفاه على حال نرضاها له وهو سلفنا ونحن بالأثر فالذي أوصيكم به تقوى الله تعالى والسعي فيما يزلفكم لديه فإن الدنيا أحلام أو كظل زائل إن اللبيب بظلها لا يخدع وعليكما بإصلاح السريرة وإحسان العشرة فيما بينكما ولولا أن التعزية سنة لكان اشتراك الخلق في المصائب كما قال عبدالرحمن بن مهدي رحمة الله عليه لما عزَّى الشافعي في ابنه: إني أُعزيك ( ) على ( ) وإن عاشا إلى حيني، ولولا أني في حبس الله لعزيتكما مشافهة ووالله إن مصيبته علينا أعظم من مصيبة والدينا. فالله يجمعني به في دار السلام ولا يفتني بعده بمنِّه وكرمه آمين»(١).

ورثي رحمه الله بمراثي لم نعثر منها إلا على مرثية الشيخ إسحاق بن

(١) صورة المخطوطة لدى المحقق. وما بين الأقواس كلمتين لم تتضح لي.

عبدالرحمن بن حسن (ت ١٣١٩هـ) عثرت على نسختين منها.

الأولى: جاء في أولها «مرثية إسحاق بن عبدالرحمن في الشيخ زيد بن محمد آل سليمان» وفي الثانية: «الحمد لله وحده هذه مرثية الشيخ إسحاق ابن عبدالرحمن في الشيخ الفاضل والبدر الكامل زيد بن محمد ثبت الله حجته وأفاض عليه رحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه» وبين النسختين فروقات قليلة بيانها في الحاشية.

قال الشيخ إسحاق رحمه الله تعالى:

بخطب مفظعٍ فُجع الأنام ... لدنُ قالوا لنا نُعي الإمامُ

علمنا أنه قد كان ركناً ... من الإسلام آن له انهدامُ

شهاب خرَّ لما أَنْ تبدَّى ... زمانًا يستضيءُ به الأَنامُ

ونجم قد هوى يتلو نجوماً ... بهم قد زال عن نجد ظلامُ

فزال العلم لما أَنْ تقضّوا ... وزاد الجهل وانتهك الحرامُ

وصار العلم للدنيا وكلٌّ ... تمايل للحُطَام به مُهامُ

فلا تأسف على الدنيا وهذا ... تقضيها وقد فُقِد الكرام

رأيت متاعها [أبداً][1] قليلا ... كطيف زار ليس له دَوامُ

وإنَّ الرزء رزء الدين لكن ... أرى الدنيا رزاياها عظامُ

(١) زيادة من النسخة الثانية.

وأهلِ العلم لا يبكي عليهم سوىٰ الأفراد والباقي طُغامُ
ولولا العلم كان الناس عُمياً ولولا العلم كالأنعام ساموا
فجودي بالبكايا عين إنِّي علىٰ ذي الفضل زيدٍ لا أُلامُ
إمام الزهد بحر العلم حقّا (وحبْرٌ)[١] بالنصوص له اعتصامُ
يُفيدُ الطالبين بكل فنٍّ تبيد الملحدين له سِهامُ
يجيب . السائلين بلا توانٍ (عويص المشكلات به يقامُ)[٢]
علىٰ فقدانه حقًّا أُصبنا ولكن القضاء له انحتامُ
ولو يُفدىٰ بذلنا ما استطعنا ولكن ليس يندفع الحِمَامُ
تراه بقية الزهاد فينا وباقي من علىٰ الأثر استقاموا
أَبىٰ أخذ الجوائز والهدايا وقال لهم علىٰ الدنيا السلامُ
سوىٰ نشر العلوم فكان فيها لهذا (البدر)[٣] ما عاش اهتمامُ
وذاك لأنه (حبر)[٤] تقي وعالي همة ما أنْ تُرامُ
يقول الحق لا يخشىٰ ملاماً إذا مِن (هيبةٍ)[٥] ترك الكلامُ

(١) في النسخة الأولىٰ (وجري).
(٢) في النسخة الأولىٰ (وحل المشكلات به يرامُ).
(٣) في النسخة الثانية (الحبر).
(٤) في النسخة الثانية (رجل).
(٥) في النسخة الأولىٰ (خيف).

ولابن محمد زيد سجايا غزار ليس يحصرها النظام
عليه سحائب الرضوان تترا غدوًّا والرَّواح لها انسجام
فإني أرتجي من ذي العطايا له فوزًا إذا عَظُمَ الزِّحامُ
وصلَّىٰ الله ما هبَّت رياحٌ وحنَّ الرَّعدُ (أو)[1] سجع الحَمَامُ
علىٰ المعصوم مع آلٍ وصحبٍ وأتباعٍ له بالدين قاموا

تمت وبالخير عمَّت[2]

رحم الله الشيخ زيد وأسكنه فسيح جناته وجمعنا به ووالدينا في مستقر رحمته عند مليك مقتدر، ولم أكتب عن المؤلف هنا كل ما جمعته عنه بل سيجد القارئ الكريم مزيد معلومات بإذن الله في كتابي (علماء وقضاة حوطة بني تميم والحريق وقراهما) يسَّر الله نشره.

* * *

(١) في النسخة الأولىٰ (و).

(٢) جاءت في النسخة الأُولىٰ.

وصف النسخ المعتمدة

الأولى : وهي نسخة خطية كاملة (وقع الفراغ من كتابتها صبيحة الأربعاء لأربعة عشر يومًا خلت من شهر رمضان سنة ١٣٠٦هـ) وفي الهامش (بلغ على أصله) لم يذكر اسم الناسخ لكن يظهر أنه من تلاميذ المؤلف حيث جاء في الورقة الأولى (تأليف شيخنا الشيخ زيد بن محمد آل سليمان وفقه الله لما يرضيه وأعانه على جهاد من يناويه آمين).

وهذه النسخة فيها أيضًا رد الشيخ العلامة صالح بن محمد الشثري (ت ١٣٠٩هـ) على أحمد دحلان وعنوان كتابه (تأييد المنان بقواطع البرهان في رد ضلالات دحلان)[1].

وأصل هذه النسخة محفوظ في مكتبة الشيخ صالح السالم (ت ١٣٣٠هـ) في حائل، وهي في ملكه كما هو مبين على طرة المخطوطة، والشكر موصول للأستاذ الفاضل الأديب عبدالرحمن بن صالح الصالح في تصويرها أجزل الله له الأجر والمثوبة.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ (أ).

الثانية : نسخة خطية ناقصة الآخر، فقد منها الورقة الأخيرة فيها قرابة عشرة أسطر من الرد، وفي بعض ورقاتها خط مغاير فيمكن تعاقب أكثر من

(١) طبع هذا الكتاب باسم (تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان) ت/ د. محمد بن ناصر الشثري. ط / دار الحبيب الأولى ١٤٢١هـ، حقق على نسخة غير هذه النسخة.

واحـد علىٰ كتـابة هذه النسـخـة، والظاهر – والله أعلم - أَنَّ أكثـر خط هذه النسـخة بيد ابن المؤلف عبدالعزيز رحمة الله علىٰ الجميع مقارنة بما خطَّه في كثير من الوثائق، وتتميز هذه النسخة بوجود تصويبات وبعض الحواشي رمزت لها بحرف (ب) مصدرها مكتبة الملك فهد الوطنية جزىٰ الله الإخوة القائمين علىٰ قسم المخطوطات خير الجزاء علىٰ ما وجدته منهم من حسن تعامل وتعاون.

وقد جاء عنوان الكتاب «فَتْحُ المَنَّان في نَقْضِ شُبَه الضَّال دَحْلاَن» مثبتًا علىٰ الورقة الأولىٰ في النسختين كلتيهما.

* * *

منهج التحقيق

أولاً : نسخ المخطوط من نسخة (أ).

ثانيًا : قمنا بالمقابلة مع النسخة (ب) وبيان الفروقات مع الاستغناء عن الفروقات البسيطة واعتماد ما في النسخة (أ) إلا أن يكون الذي في نسخة (ب) أوضح في المعنىٰ وأقرب.

ثالثًا : عزو الآيات وتخريج الأحاديث حيث أذكر من خرَّجه ما أمكن مع ذكر درجة الحديث ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلا.

رابعًا : التعليق علىٰ بعض المواضيع من الرسالة من كلام الأئمة والعلماء. وتوثيق النقولات ما أمكن.

خامسًا : ترجمة بعض من احتاج من الأعلام إلىٰ تعريف مقتصرًا علىٰ غير المشهورين نسبيًا.

سادسًا : عملت فهرسًا للآيات والأحاديث والآثار.

وأحب أن أشير إلىٰ أنني لم أتصرف في النص إلا حدود ما تمليه الضرورة من تعديل أو إضافة مع الإشارة إلىٰ ذلك في موضعه.

وأشكر الله أولاً وآخرًا علىٰ توفيقه سبحانه وتعالىٰ ثم أشكر كل من أعانني علىٰ إخراج هذا المؤلف وأَخصُّ بالشكر فضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان القاضي في محكمة الدمام سابقًا علىٰ تشجيعه ومتابعته للعمل

جزاه الله خيراً وأَجزل له الأجر ، ولقد أَتممت عليه قراءة هذا الكتاب ولله الحمد، ثم أشكر الأَخوين عبدالله بن إبراهيم المشعل وسلطان بن موسى الخميس على إعانتهما لي في المقابلة .

والله أَسأل أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا مفاتيح للخير مغاليق للشر الداعين إلى توحيده سبحانه وتعالى المستمسكين بسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

والسلب أعظم الجزاء نعمه وكرمه آمين قال الفقير رحمه الله وعفى عنه يقول محمد بن جمال الدين
يوسف اليافعي الشافعي اليمني رحمه الله يقول حيث يقول لو وفق الله أهل الأرض
قاطبة إلى الصواب لساروا خلف مذهبه ويتبعوه بحسان تبيانه به فاسمع نصفه
من رماه به متمسكا بصحيح النقل متبعا خير القرون الأولى فإن مذهبه مع الأئمة
أهل الحق كلهم قالوا كما قال قولا غير مشتبه وهذا آخر ما أردنا جمعه نصرة لتوحيد
الله تعالى الذي جحده المشركون على طريق العدل والإنصاف اللهم رب جبريل وميكائيل عالم
الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من
الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وصلى الله على سيد الأولين والآخرين
نبيك وحبيبك محمد وعلى آله وصحابته أجمعين والحمد لله رب العالمين حمدا دائما مستمرا
إلى يوم الدين فإنك لا تعتب على زلة عثرت بها أي الرجال المهذب
تمت

فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان
تأليف شيخنا الشيخ زين
محمد السليمان و
نفعنا الله بما ير
ضيه ولمانه
على جاد
ما بينا
دينه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وعليه أتوكل رب تمم بالخير والعافية
الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ينفون عن دينه غلو
الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد
الصمد المعين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله حجة الله على كافة الناس أجمعين

صح أصله

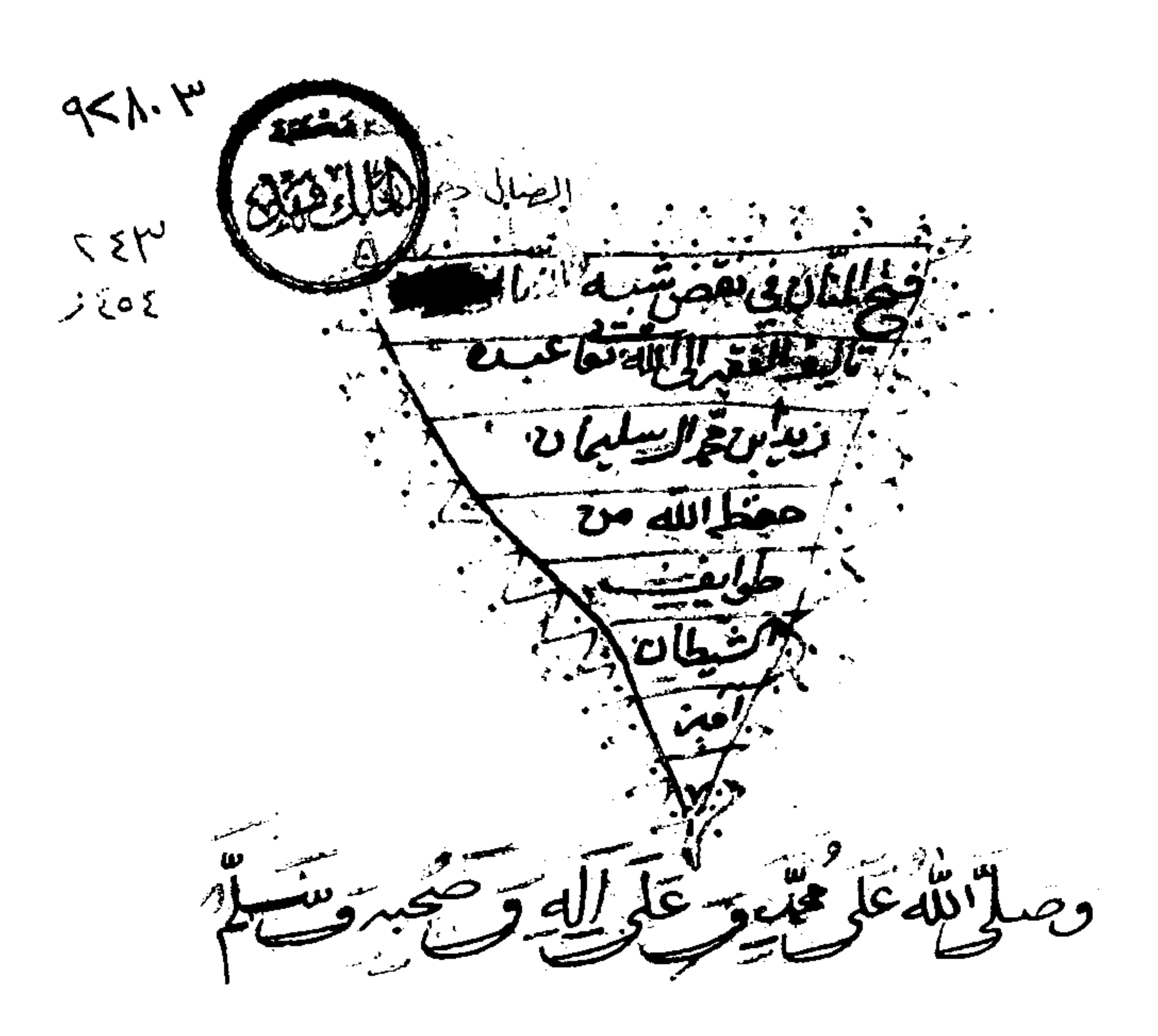
صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (أ)

فرد عليهم رحمه الله من الكتاب والسنة وكلام علماء الأمة ما دحض باطلهم وكسر شبههم فصاروا بحمد الله محسورين مكسورين حججهم تهافت كالزجاج تخالها حقا وكلا كاسر مكسور وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومن سبر أحوال هذا الشيخ وخبر حاله وسلم من التعصب والاعتساف علم يقينا أنه رحمه الله محق لا مبطل وعلى أصل أصيل مؤصل ولكن عين الهوى عمياء وقد شرح الله صدر كثير من العلماء لدعوته وسروا واستبشروا بطلعته وأثنى عليه أكثر علماء اليمن كالصنعاني وابنه عبد الله والشوكاني ومحمد بن الحسين النعمي وأحمد الحفظي وابنه محمد وأخوه الزهري وغيرهم من علماء اليمن وكذلك عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام ثنائه عليه معروف ونظما ونثرا فلا نطيل به وكذلك أولاده من بعده على سنن الهدى متبعين لآثار السلف واعتقادهم رحمه الله ومن قفى آثارهم اعتقاد السلف الصالح يثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم وما أثبته الصحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة بعدهم فالله يرحمهم ويرضى عنهم وأما قصته مع الأحسائي فهي القارعة لأنه العاديات ولم ينقطع الشيخ كما ادعاه الضال ولكن الشيخ كتب له ثلاثة أو ثلاثين موضعا من معاني لا إله إلا الله وقال أجبني أجيبك فانقطع الأحسائي واحترق جسمه قال أخبرني عمن المطاة من اللطاة فقال الشيخ أخبرني عن معنى لا إله إلا الله فانقطع ولم يبلغنا أنه رحمه الله انقطع مع خصم واحد وعرض له في كلام الشيخ الترشيح والموشح فقال ما نعلم هذا من كلام العلماء فقال رحمه الله ومن أنت حتى تعرف كلام العلماء هذا آخر ما قصدنا إيراده في هذه الرسالة على شغل بال وضعف حال وقلة حاصل من العلم والكمال فأرجوه أن شاء الله مبطلا للشبه المزيفة المعارضة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في النقض في أصل الصبغة كأمرهم وبنو الطبيعة نقصهم لا يجدي والحمد لله أولا وآخرا ظاهرا وباطنا الذي له الكمال المطلق من كل وجه لا إله غيره ولا رب سواه وصلى الله على محمد النبي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وقع الفراغ من كتابتها صبيحة الأربعاء الرابعة عشر يوما خلت من شهر رمضان سنة

النعمي

بلغ على أصله

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (أ)



فتح المنان في نقض شبه [redacted]

تأليف الفقير إلى الله تعالى عبده

زيد بن محمد آل سليمان

حفظه الله من

طوايف

الشيطان

آمين

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صورة عنوان الكتاب من المخطوطة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ينفون عن دينه غلو الغالين وانتحال
المبطلين وتأويل الجاهلين وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد المعين وأشهد أن
محمداً عبده ورسوله حجة الله على كافة الناس أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حملة العلم وقدوة
العاملين وسلم تسليماً كثيراً وبعد فقد وصل إلينا رسالة من مكة المشرفة من رجل
يسمى دحلان جاهل مركب لا يدري ولا يدري أنه لا يدري يدعي أنه يتبع الحق فيما سطر
وأظهر ومضمونها تحسين ما عليه المشركون من دعاء الأموات والاستشفاع بهم في طلب الحاجات
وتفريج الكربات والاستغاثة بهم في الملمات إلى آخر ما هذا به في رسالته وسماها (من شبهاته)
الدرر السنية ولم يطابق اسمها مسماها ولو لا بهاها أن تسمى الشبه الدحلانية في معارضة
الكتاب والأحاديث النبوية مما يأتي جوابه إن شاء الله مما يعلم بالضرورة أنه مخالف لما جاءت
به الرسل ونطقت به الكتب والله أرسل رسله وأنزل كتبه ليعبد وحده ولا يشرك به
في شيء من أنواع العبادة قال الله تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
أولياء قليلاً ما تذكرون وقال تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
(الآية) وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وقال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى قال ابن عباس رضي الله عنه تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في
الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقال تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
الآية قال الحافظ ابن كثير في الآية يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات أي بينات واضحات
الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم
فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس
ولهذا قال هن أم الكتاب أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه وأحسن ما قيل فيها ما نص عليه محمد بن
إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم
والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه انتهى وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال ابن كثير يقسم بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم

الرسول

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة (ب)

وتترك رسوم الخلق لم يعبأ بها ورفض تلك الطرائق والعوائد الضالة إلى أهلها
واترك رسوم الخلق لا تعبأ بها فهي في السعد ما يغنيك عن دبران وقد صنف بعض
علماء المشركين في الرد عليه ودفع ما قرره ودعا إليه واستهوتهم الشياطين حتى سعوا في آيات الله
معاجزين بغيا بينهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وقد بدد الله شملهم
فتمزقوا أيدي سبا وذهبت أباطيلهم وأراجيفهم حتى صارت هباء نعم بقيت لتلك الشبهة
بقية بأيدي قوم ليس لهم في الإسلام قدم ولا في الإيمان دراية ليس عندهم من الإسلام إلا اسمه
ولا من القرآن إلا رسمه ولا عندهم من العلم النافع ما يخرجون به من زمرة الجاهلين فصاروا
يكذبون ويباهتون ويحسبون أنهم مهتدون قد لعبت بهم الشبهات والضلالات
وغلبت عليهم الرسوم والعادات يتحافتون بينهم ما تضمنته الشبه الشركية من
الزخارف التي ليس لها أصل في دين المرسلين فرد عليهم رحمه الله من الكتاب
والسنة وكلام علماء الأمة ما أدحض باطلهم وكسر شبههم فصاروا بحمد الله محسورين
مكسورين حججهم تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ومن تدبر أحوال هذا الشيخ وخبر حاله وسلم من التعصب والاعتساف علم يقينا
أنه بحمد الله محق لا مبطل وعلى أصل أصيل مؤصل ولكن عين الهوى عمياء وقد شرح الله
صدور كثير من العلماء لدعوته وسروا واستبشروا بطلعته وأثنى عليه أكابر علماء اليمن
كالصنعاني وابنه عبد الله والشوكاني ومحمد بن الحسين النعمي وأحمد الحفظي وابنه محمد وأخوه
الزمزمي وغيرهم من علماء اليمن وكذلك عالم الأحساء أبو بكر حسين بن غنام أثنى
عليه مرموق نظما ونثرا لما اطلع عليه وكذلك أولاده من بعده على سنن الهدى متبعين
لآثار السلف واعتقادهم بحمد الله ومن قفا آثارهم اعتقاد السلف الصالح يثبتون لله
ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم وما أثبته الصحابة والتابعون لهم
بإحسان والأئمة بعدهم فالله يرحمهم ويرضى عنهم وأما قصته مع الأحسائي
فهي في القارعة لا في العاديات ولم ينقطع الشيخ كما ادعاه الضال ولكن الشيخ كتب له
ثلاثة وثلاثين موضعا من معاني لا إله إلا الله وقال إن أجبتني أجبتك فانقطع الأحسائي

(في الهامش: وابنه حسين بن مهدي)

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ب)

النص المحقق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه أتوكل ربِّ تمم بالخير والعافية

[ربِّ يسِّر وأعن يا كريم][1]

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ينفون عن دينه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصَّمد المعين، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله حجة الله على كافة الناس أجمعين صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه حملة العلم وقدوة العاملين وسلَّم تسليمًا كثيراً. وبعد:

فقد وصل إلينا رسالة من مكة المشرَّفة من رجل يُسمَّى دحلان جاهل مركب لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري يدَّعي أنَّه يبين الحق فيما سطَّر وأظهر ومضمونها تحسين ما عليه المشركون من دعاء الأموات والاستشفاع بهم في طلب الحاجات وتفريج الكربات والاستغاثة بهم في الملمَّات إلى آخر ما هذى به في رسالته من شبهاته وسمَّاها «الدُّرر[2] السَّنيَّة» ولم يطابق اسمها مسمَّاها، وأولى بها أن تُسمى الشُّبه الدحلانية في معارضة الكتاب والأحاديث النبوية مما يأتي جوابه إن شاء الله مما يُعلم بالضرورة أنَّه مخالف لما جاءت به الرسل ونطقت به الكتب، و[الله][3] أرسل رسله وأنزل كتبه ليعبد وحده ولا يشرك به في شيءٍ من أنواع العبادة قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ

(١) زيادة من نسخة (ب).

(٢) في (أ) الدر.

(٣) ساقطة من نسخة (أ).

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٤]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: ١٢٣] قال ابن عباس رضي الله عنه: تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضلَّ في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة(١)، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧].

قال الحافظ ابن كثير في الآية: يخبر تعالىٰ أَنَّ في القرآن آياتٌ محكمات أَي بيِّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها علىٰ أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة علىٰ كثير من الناس أَو بعضهم، فمن ردَّ ما اشتبه عليه إلىٰ الواضح منه، وحكَّم محكمه علىٰ متشابهه عنده فقد اهتدىٰ، ومن عكس انعكس، ولهذا قال: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عنده الاشتباه، وأَحسن ما قيل فيها ما نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار(٢) رحمه الله حيث قال: منه آيات محكمات فيهن حجة الربِّ وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنَّ تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه

---

(١) أخرجه الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طرق عن ابن عباس. انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٥٦)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/ ١٩١).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة وكان من حفاظ الحديث توفي سنة (١٥١هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٨).

انتهى[١]. وقال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥]، قال ابن كثير: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أَنَّه لا يؤمن أحد حتى يُحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكَم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطنًا، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥] أي: إذا حكَّموك يطيعوك في بواطنهم، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به[٢]، ويسلِّموا تسليما كليًّا من غير مدافعة ولا منازعة. ثم ساق حديث عبدالله بن عمرو[٣] وقصة الزبير في شِرَاج[٤] الحرَّة[٥] انتهى[٦]، والله فرض على العباد طاعة

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧) ط. طيبة.

(٢) جاء في (أ): (قضيت) والتصويب من (ب) وتفسير ابن كثير، وجاء فيه أيضًا زيادة عقب (حكمت به) قوله: «وينقاد له في الظاهر والباطن».

(٣) حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (رقم/ ٢٧٩)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم/ ١٠٤).

(٤) جاء في (أ): (الشراج)، قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٤٥٦): الشَّرْجة: مسيل الماء من الحرَّة إلى السَّهل والشَّرْج جنسٌ لها والشِّراج جمعها.

(٥) أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٥٨٥)، (٢٣٦١)، (٢٧٠٨)، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً في شريج من الحرّة فقال النبي ﷺ: «**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فقال الأنصاري: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلّون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**اسق يازبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدْر، ثم أرسل الماء إلى جارك**» واستوعى النبي ﷺ للزبير حقّه في صريح الحكم حين أَحْفَظَهُ الأنصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ الآية.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٤٩).

رسوله وأَمر بردِّ ما تنازعوا فيه إليه(١)، فقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩] أَجمع العلماء أَنَّ الردَّ إلىٰ الله هو الردُّ إلىٰ كتابه والردَّ إلىٰ رسوله هو الردُّ إليه في حياته وإلىٰ سنته بعد وفاته(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور، الآية: ٥٤]، وقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٠]، وفي الحديث عنه ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»(٣)، وفي الصحيح عنه ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى»، قالوا يا رسول الله ومن يأبىٰ، قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٤)، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [سورة الاحزاب، الآية: ٣٦]، وقال بعد تمام (آية)(٥) الفرائض: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [سورة الحشر، الآية: ٧]

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٥). وقال ميمون بن مهران: الرَّد إلىٰ الله إلىٰ كتابه والرَّد إلىٰ الرسول إذا قبض إلىٰ سنته. انظر: «الإبانة الصغرىٰ» لابن بطة (رقم/ ٧٤) ط. العلوم والحكم.

(٣) رواه البخاري (٢٧٣٧) من حديث المسور بن مخرمة ومروان، وروىٰ البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٣٤١٧) و (٣٤١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**».

(٤) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٦٧٣٧).

(٥) ساقطة من (ب).

ومما يدلنا على غباوته وجهالته أنَّه تارة يقصر النصوص على أسباب النزول، والعبرة عند أهل العلم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(١)، وهذا إبطال لدين الإسلام والله يقول: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٥٢]، وفي الحديث: «**من بلغه القرآن فقد بلَّغه محمد ﷺ**»(٢)، وهذه طريقة الجهمية في نصوص الصفات تارة يقولون أخبار آحاد وتارة يبطلون دلالتها وتارة يؤولونها على غير ما أراد الله ورسوله منها، وهؤلاء يتناقضون يقصرون نصوص التوحيد على أسباب نزولها، وأمَّا نصوص الصلاة والزكاة والحج فيدّعون أنّها عامة وهذا تناقض شنيع وجهل فظيع فاعجب لها من رذيلة، وتارة يستدلون ببعض نصوص التوحيد على نقيض مراد الله منها وهذا إلحاد في آيات الله وتارة يُثلِّبون(٣) أئمة الإسلام ويرمونهم بالعظائم والدواهي ويُروِّجون على العوَّام كما أخبر الله عن المشركين مع الرسل تارة يقولون سفهاء وتارة يقولون ضُّلال وتارة يقولون سحرة وكهنة، والله متمُّ نوره ومظهر دينه، وإلى الله [المرجع](٤) الذي تظهر عنده المخبآت(٥) والسرائر وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: «روضة الناظر» (٢/ ١٤١) و«شرح الكوكب المنير» (٣/ ١٧٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. انظر: «تفسير ابن جرير» (٧/ ١٦٣)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٥).

(٣) ثَلَبَ الشيءَ ثلبًا ثَلَمَهُ وفلانًا عابه وتَنَقَّصَهُ والمثلبة، المسبة والجمع المثالب. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٩٨) و«المصباح المنير» (ص٣٢).

(٤) جاء في نسخة (أ): (الراجع) والتصويب من نسخة (ب).

(٥) جاء في نسخة (ب): (المخبأة).

شعرا :

ولو كَانَ هذا مِن وَرَاء كفايــة لهَان ولكن مِن وَرَاء تخـلُّف[١]

وقال آخر :

وإذا أراد الله نَشْرَ فَضِيلــــةٍ طُويتْ أتَاح لها لِسَان حَسُــودِ[٢]

وقال آخر :

وإذا رَامت الذُّبابة للشَّمْــــ ـسِ غِطَاء[٣] مَدت عليها جَنَاحَا[٤]

وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمًا ورزية كبرىٰ من[٥] أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين المتمعلمة[٦] الذين يجترون علىٰ الكذب تارة علىٰ الأنبياء وتارة علىٰ الصالحين وتارة علىٰ رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لاعلم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف، فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنخولة، والأساطير المفتعلة فحرَّفوا وبدَّلوا وغيَّروا[٧]، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

---

(١) القائل : محمد بن بيان الكازروني (ت ٥٠٧هـ) انظر : «شذرات الذهب» (٤/ ١٧).

(٢) انظر : «فيض القدير» (٣/ ١٢٥).

(٣) جاء في نسخة (أ) : (ضياء)، والمثبت من (ب).

(٤) القائل : علي بن صالح العماري ثم الصنعاني (ت ١٢١٣هـ) انظر : «البدر الطالع» للشوكاني (١/ ٤٥٥).

(٥) جاء في نسخة (ب) : (بمثل).

(٦) جاء في نسخة (ب) : (المتمعلمة الكذابين الدجالين).

(٧) جاء في نسخة (ب) : (غيروا وبدلوا).

* إذا تقرر هذا فاعلم أَنَّ زيارة قبر النبي ﷺ في المسجد حق[١]، ولا تنكر على الوجه المشروع، وهو أَنَّ الرجل يسافر لقصد المسجد والقبر فيه، فإذا دخل المسجد صلَّى على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، فإذا أراد أن يدعو استقبل القبلة ثم[٢] دعا ثم خرج إلى مسجد قباء وصلَّى فيه ثم أتى حمزة والشهداء وسلَّم عليهم ثم أَتى البقيع وسلَّم على أهله ودعا لهم، والقصد بالأصالة مسجده الشريف بأبي هو وأمي ﷺ، وهذه الفضيلة ثابتة لمسجده ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٣] وهذه زيارة شرعية لا محذور فيها ولا كراهة.

قال مالك والشافعي وأحمد وأكثر العلماء: يستقبل القبلة عند الدعاء، وأما السلام فيستقبل القبر، وقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة مطلقًا[٤].

* وأما استدلاله بالآية الكريمة[٥] فغير مُسلَّم فإنَّ المفسرين قاطبة حملوا الآية الكريمة على مجيئه في حياته لا بعد وفاته[٦] حيث تؤخذ الأحكام من

---

(١) جاء في نسخة (أ): (حق في المسجد).

(٢) جاء في نسخة (ب): (ودعا).

(٣) رواه البخاري (١١١٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله في «التوسل والوسيلة» (ص١٢٧): «وعند أصحاب أبي حنيفة، لا يستقبل القبر وقت السلام عليه أيضًا».

(٥) هي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٤].

(٦) قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٣١٧): «ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلّف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية: ٥]. . .».

لسانه الكريم وأفعاله ﷺ، وآخر من ذكره صدِّيق بن حسن القنوجي[(١)] في تفسيره (فتح البيان)[(٢)].

* وأمَّا الحكاية التي تروىٰ عن مالك مع المنصور لما سأله إذا أردتُ [أنْ][(٣)] أُسلِّم علىٰ النبي ﷺ أَستقبل القبلة قال: «**كيف تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة آبائك من قبلك**»[(٤)]، واستدلاله بالآية إلىٰ آخر الحكاية فكذب مختلق كيف ومذهب مالك بخلافها. قال ابن عدي في الكامل: قال إسحاق بن منصور: أشهد بين يدي الله علىٰ محمد بن حميد الرازي[(٥)] يعني راوي هذه الحكاية أَنَّه كذَّاب[(٦)]، وحكىٰ أصحاب مالك عن ابن الحكم وابن

(١) هو أبو الطيب صدِّيق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي نزيل بهوبال بالهند ولد سنة (١٢٤٨هـ)، وتوفي سنة (١٣٠٧هـ). انظر: «التاج المكلل» (ص٥٤٦).

(٢) انظر: «فتح البيان» (٣/ ١٦٦).

(٣) ساقطة من نسخة (أ).

(٤) أخرج هذ الرواية القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٥٩٥)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «التوسل والوسيلة» (ص١٢٤): «وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين، بالأخذ عنه ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته»، وقال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٢٦٠): «وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه، . . . بل إسنادها إسناد ليس بجيد، بل هو إسناد مظلم منقطع، وهو علىٰ من يتهم بالكذب وعلىٰ من يجهل حاله، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته . . .».

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «التوسل والوسيلة» (ص٦٩): «محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكًا، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه».

محمد بن حميد الرازي كذبه أبو زرعة، وقال عنه: كان يتعمد أي (الكذب) وقال النسائي: ليس بثقة، وقال البخاري: حديثه فيه نظر. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٢٨٥) ط. الرسالة.

(٦) لم أجده في الكامل لابن عدي، وانظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٢٨٦).

القاسم ومحمد بن سحنون وعبدالملك بن حبيب وغيرهم يحكون عن مالك أنه يقول: يُسلِّم ويمضي ولا يقف[١]، ويكره رحمه الله التردد إلى قبر النبي ﷺ ويقول: لم يبلغني هذا عن صدر هذه الأمة، ولن يصلح (آخر)[٢] هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ويكره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ، ولم يذكر إلاَّ عن ابن عمر إذا قدم من سفر أو أراده[٣]، وكذا حكاه سلمة بن وردان عن أنس[٤]، ولكن كلما ضعف تمسكهم بعهد نبيهم وخلفائه الراشدين[٥] تعوَّضوا عنه بما أحدثوه من البدع والشرك.

* وأَمَّا ما استدل به من الأحاديث على وجوب الزيارة بقوله: «**من حجَّ ولم يزرني فقد جفاني**»[٦]، وبقوله: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[٧] . . . إلخ

فالجواب: بأنّها قد ضعفها الحفاظ، وذكروا أَنَّ بعضها موضوع وبعضها ضعيف بمرَّة وهو مثل قوله: «**مَنْ زارني وزار أَبِي في عام [واحد]**[٨] **ضمنت له**

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٦٧١).

(٢) ساقطة من نسخة (ب).

(٣) انظر: موطأ الإمام مالك (١/ ١٦٦)، و«الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٨٨).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٨٣) ت/ د. ناصر العقل.

(٥) ساقطة من (أ).

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٤٨٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٦٨)، وقد حكم عليه الذهبي بالوضع في «الميزان» (٤/ ٢٦٥).

(٧) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٩٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٥٠)، قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٢١): «هو حديث منكر عند أئمة هذا الشأن ضعيف الإسناد عندهم لا يقوم بمثله حجة. . . ضعيف الإسناد واهي الطريق»، وأخرجه البزار في «كشف الأستار» (١١٩٧) بلفظ «**من زار قبري حلت له شفاعتي**» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢): «رواه البزار وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف» قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٤١): «حديث ضعيف منكر ساقط الإسناد».

(٨) ساقطة من (أ).

الجنة[(١)] على الله»[(٢)] فإنَّ هذا باطل باتفاق العلماء وقوله: «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**» باطل أيضًا ليس في شيء من الكتب بإسناد موضوع ولا غير موضوع وقد قيل: إنَّ هذا لم يسمع في الإسلام حتىٰ فتح المسلمون بيت المقدس في زمن صلاح الدين فلهذا لم يذكر أحد من العلماء لا هذا ولاهذا لا علىٰ سبيل الاعتقاد ولا علىٰ سبيل الاعتماد بخلاف الحديث الذي تقدم فإنه قد ذكره جماعة ورووه، وهو معروف من حديث حفص بن سليمان الغاضري صاحب عاصم عن ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**»[(٣)]، وقد اتفق أهل العلم بالحديث علىٰ الطعن في حديث حفص هذا دون قراءته قال البيهقي في «شعب الإيمان»[(٤)]: وقد روىٰ حفص بن أبي داود وهو ضعيف عن ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال

---

(١) جاء في (ب): «علىٰ الله الجنة».

(٢) قال النووي رحمه الله في «المجموع» (٨/ ٢٦١): «هذا باطل ليس هو مرويًّا عن النبي ﷺ ولا يُعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف بل وضعه بعض الفجرة» وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الرد علىٰ الأخنائي» (ص٣٥): «فهذا ليس في شيء من الكتب لا بإسناد موضوع ولا غير موضوع» وقال أيضًا في (ص٣٤): «فإنَّ هذا أيضًا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد ولم يحتج به».
وقال الزركشي في «التذكرة» (ص١٧٢): «قال بعض الحفاظ: هو موضوع ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث»، وانظر: «الضعيفة» للألباني (رقم ٤٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم/ ١٣٤٩٧)، والدارقطني (٢/ ٢٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٢٤٦)، وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٤٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (/ ٧٩٠ ٢)، قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٦٢): «واعلم أن هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد علىٰ مثله، فإنه حديث منكر ساقط الإسناد، لم يصححه أحد من الحفاظ ولا احتج به أحد من الأئمة، بل ضعفوه وطعنوا فيه. . .» والحديث إسناده ضعيف جدًّا. انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني (رقم ٤٧).

(٤) انظر: «شعب الإيمان» (٣/ ٤٨٩).

رسول الله ﷺ: «**من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي**»، قال يحيىٰ بن معين في حفص: «ليس بثقة وهو أصح قراءة من أبي بكر بن عياش وأبو بكر أوثق منه»، وفي رواية عنه: «كان حفص أقرأ من أبي بكر وكان أبو بكر صدوقًا، وكان حفص كَذّاباً»، وقال البخاري: «تركوه»، وقال مسلم: «ليس بثقة ولا يكتب حديثه»، وقال مرة: «متروك»، وقال صالح بن محمد البغدادي: «لا يكتب حديثه وأحاديثه كلها مناكير»، وقال أبو زرعة: «ضعيف الحديث»، وقال أبو حاتم الرازي: [«لا يكتب حديثه](١) وهو ضعيف الحديث [لا يصدق متروك الحديث»، وقال عبدالرحمن بن خراش: «هو كذاب متروك يضع الحديث»](٢)، وقال الحاكم أبو أحمد: «ذاهب الحديث»، وقال ابن عدي: «عامة أحاديثه عمن روىٰ عنه غير محفوظة»(٣)، وفي الباب حديث آخر(٤) أخرجه البزار والدارقطني وغيرهما من حديث موسىٰ بن هلال حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»(٥)، قال البيهقي: وقد روىٰ هذا الحديث ثم قال: وقد قيل عن موسىٰ عن(٦) عبيد الله قال: وسواء قال عبدالله أو عبيدالله فهو منكر عن نافع

---

(١) زيادة منقولة من كلام ابن تيمية في «الرد علىٰ الأخنائي» (ص٣٥).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من نسخة (أ).

(٣) الكامل لابن عدي (٣/ ٢٧٦).

(٤) جاء في هامش نسخة (ب): «قوله: (وفي الباب حديث آخر) إلخ كلامه، يوهم أن هذا الحديث المروي من طريق موسىٰ بن هلال غير الحديث المروي من رواية حفص بن أبي داود وليس كذلك بل هما حديث واحد فتأمل والله أعلم كاتبه».

(٥) سبق تخريجه.

(٦) جاء في نسخة (ب): (بن).

عن ابن عمر لم يأت به غيره(١)، وقال العقيلي في موسىٰ بن هلال هذا: «لا يتابع علىٰ حديثه»(٢)، وقال أبو حاتم الرازي: «هو مجهول»، وقال أبو زكريا النووي في (شرح المهذب)(٣) لما ذكر قول أبي إسحاق: «وتستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روي عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبري وجبت له شفاعتي»** قال النووي: «أَمَّا حديث ابن عمر فرواه أبو بكر البزار والدارقطني والبيهقي بإسنادين ضعيفين جدًّا»(٤).

وهذا كلام الأئمة الحفاظ في هذه الأحاديث كما ترىٰ الذي يزعم هذا أَنَّها صحيحة، وأظنُّه لا يحسن الصحيح من الضعيف، وإنما يرىٰ سواداً في بياض فيصول به ويجول، وهذا شيء لا يخلصه من خصمه ولا يعقد في فصمه، وأما قوله ﷺ: **«زوروا القبور»**(٥) فإنَّه أمر بعد الحظر، ومراده ما ذكره في هذا الحديث **«فإنها تُذكِّر الآخرة»** وهو لفظ عام يخص منه ما احتاج لشدِّ رحل وزيارة بنوح وشق جيب وخمش وجه وقول هجر وزيارة النساء وزيارتها لمن يُشْرِك عندها ويدعوها ويفعل عندها من البدع ما نهي عنه كما (أَنَّ)(٦) قوله تعالىٰ: ﴿ **فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ** ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٩] لا يتناول أيام الحيض ولا يومي

(١) انظر: «شعب الإيمان» (٣/ ٤٩٠).

(٢) انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ١٧٠).

(٣) انظر: «المجموع» (٨/ ٢٧٢).

(٤) انتهىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٢١٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٢٢) بلفظ: «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**»، وأخرجه ابن ماجه (١٥٥٨) بلفظ: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**».

(٦) ساقطة من نسخة (ب).

العيدين وقوله: «**صلاة الرجل [في مسجده]**[١] **تفضل على صلاته في بيته وسوقه خمسًا وعشرين درجة**»[٢] لا يتناول أن يسافر إلىٰ المسجد ليصلِّي بل يقتضي إتيانه، ومكان قريب بلا سفر وقوله: «**لا تمنعوا إماءَ الله مساجد الله**»[٣]، وقوله: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته المسجد فلا يمنعها**»[٤] ولا يقتضي أنها تسافر مع غير زوج ولا ذي محرم ولا أَنَّ علىٰ زوجها أَنْ يأذن لها إذا أرادت السفر إلىٰ أحد المساجد ولو كان مع زوج أو ذي محرم وإنَّما عليه الإذن لها في الفرض وهو الحج مع قوله: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها**» فلا يُقال أَنَّه عام في السفر وغيره فإن قيل هذه المواضع قد عرف أنَّه أراد الإتيان من المسجد إلىٰ البيت لم يرد السفر لأَنَّ هذا هو المعروف بينهم، قيل: وكذلك زيارة القبور لم يكونوا يعرفونها إلا من المدينة إلىٰ مقابرها أو جازوا بها لم يعرف قط أنَّ أحدًا من الصحابة والتابعين وتابعيهم سافروا لزيارة قبر.

ونحن بحمد الله لا ننكر الزيارة الشرعية لقبره ﷺ [في المسجد][٥] وقبر غيره من غير شدِّ رحل.

---

(١) ساقطة من نسخة (أ).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨) بلفظ: «**تفضل صلاة الجميع ...**»، وأخرجه (٦٤٧) بلفظ: «**صلاة الرجل في الجماعة تضعَّفُ...**»، وأخرجه مسلم (١٠٥٩) بلفظ: «**صلاة الرجل... تزيد.. بضعف وعشرين درجة**».

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٩)، ومسلم (٦٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٣)، ومسلم (٤٤٢).

(٥) زيادة من (ب).

* وأمَّا حديث أبي هريرة المشار إليه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»(١) فقد اتفق الأئمة على صحته والعمل به، وهو أيضًا في مسلم من حديث أبي سعيد بلفظ النهي(٢)، فقد شفا شيخ الإسلام في الجواب لما سئل عن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين فقال:

«الحمد لله أَمَّا من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين أحدهما: وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية، ويقولون: إنَّ هذا سفر معصية كأبي عبدالله بن بطة(٣) وأبي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين أَنَّه لا يجوز القصر في هذا السفر لأنَّه سفر منهي عنه وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد أنَّ السفر المنهي عنه لا تقصر فيه الصلاة.

والقول الثاني: أنَّها تقصر في الصلاة، وهذا يقوله من يجوِّز القصر في السفر المحرم كأبي حنيفة ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوّز السفر لزيارة قبور الأَنبياء والصالحين كأَبي حامد الغزالي وأبي محمد المقدسي وأَبي الحسن ابن عبدوس الحرَّاني(٤) وهؤلاء يقولون:

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٣) الإمام الحافظ أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري الفقيه الحنبلي ولد سنة (٣٠٤هـ) وتوفي سنة (٣٨٧هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ١٢٢).

(٤) علي بن عمر بن أحمد بن عمار بن أحمد بن عبدوس الحراني الحنبلي أبو الحسن ولد سنة (٥١١هـ) وتوفي سنة (٥٥٩هـ). انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٤).

إنَّ السفر ليس بمحرّم لعموم قوله: «**فزوروا القبور**»[(١)]، وقد احتجَّ أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور والمساجد بأنَّه ﷺ كان يزور قباء[(٢)] ويزور القبور وأجاب عن حديث «**لا تُشَدُّ الرحال**» بأنَّه محمول على نفي الاستحباب[(٣)]، وأمَّا الأولون فإنَّهم يحتجون بحديث أَبي هريرة المتقدم «**لا تُشَدُّ الرحال...**» الحديث، وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به فلو نذر رجل أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر إليه غير المساجد الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة، ولو نذر أن يسافر إلى المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء عند مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر إلاَّ ما كان من جنسه واجب بالشرع، وأما الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة لما ثبت في البخاري عن عائشة أَنَّ النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[(٤)]، والسفر إلى المسجدين طاعة ولهذا وجب الوفاء به، وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أَحد من العلماء السفر إليها إذا نذره حتى نصَّ العلماء على أَنَّه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من الثلاثة مع أَنَّ مسجد قباء تُستحب زيارته لمن كان بالمدينة لأَنَّ ذلك ليس بشدِّ رحل كما في الحديث

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٢)، (١١٩٣)، ومسلم (١٣٩٩).

(٣) «المغني» لابن قدامة (٣/ ١١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٠٢)، والترمذي (٦٤٤٦)، والنسائي (٣٧٤٦).

الصحيح «**من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلاَّ الصلاة فيه كان كعمرة**» رواه أهل السنن كالنسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه[١]، وقالوا: لأَنَّ السفر إلى زيارة قبور الأَنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أَمر بها رسول الله ﷺ، ولا استحب ذلك أحد من الأئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها (سنة)[٢] فهو مخالف للسُّنَّة ولإجماع المسلمين، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي لأن زيارة النبي ﷺ إلى قباء لم تكن بشد رحل، والسفر إليه لا يجب بالنذر.

* وقوله: في قول النبي ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرحال**» أَنَّه محمول على نفي الاستحباب عنه جوابان:

أحدهما: أَنَّ هذا تسليم منه أَنّ السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ولا هو من الحسنات؛ فإذًا من اعتقد أَنَّ السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أَنَّه قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاد أَنَّها طاعة كان ذلك محرَّمًا بإجماع المسلمين فصار التحريم من هذه الجهة، ومعلوم أَنَّ أحدًا لا يسافر إليها إلاَّ لذلك، وإذا قُدِّر أَنَّ الرجل سافر إليها لغرض مباح فهذا جائز وليس من هذا الباب.

الوجه الثاني: أَنَّ هذا الحديث يقتضي النهي، والنهي يقتضي التحريم ومالك إمام أهل المدينة كره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ، ولو كان هذا اللفظ مشروعًا أو مأثوراً عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة، والإمام أحمد

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٧)، والترمذي (٣٢٤)، والنسائي (٦٩٩)، وابن ماجه (١٤١٢)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ساقطة من (ب).

أعلم الناس في زمانه بالسُّنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمده في ذلك من الأحاديث إلاَّ حديث أبي هريرة أَنَّ النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يُسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحي حتى أردَّ عليه السَّلام**»[(١)]، وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه، وكذلك مالك في الموطأ روى عن عبدالله بن عمر أَنَّه كان إذا دخل المسجد قال: «السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أَبتِ» ثم ينصرف[(٢)]، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيداً وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم فإنَّ صلاتكم تبلغني**»[(٣)]، وفي سنن سعيد بن منصور أَنَّ الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يتخلَّف إلى قبر النبي ﷺ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيداً وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم فإنَّ صلاتكم تبلغني**»[(٤)] ما أنتم ومَنْ بالأندلس إلاَّ سواء، وقد اشْتُهِر هذا القول من بين التابعين فلم ينكره أحد فَمَنْ ادَّعى أَنَّ الصلاة عليه عند قبره أفضل منها إذا كان غائبًا فقد تحجر واسعًا على المسلمين، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أَنَّه قال في مرض موته: «**لعن الله**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وأحمد (١٠٣٩٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٤٥)، قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص١٥٤): «إسناده جيد».

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٦٦) وابن أبي شيبة (٣/ ٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٦٢)، قال ابن عبدالهادي في «الصارم المنكي» (ص٤١٤): «حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٣٤٥)، وعبدالرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٧٧) رقم (٦٧٢٦)، والجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (٣٠)، ولم أجده في المطبوع من سنن ابن منصور.

اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا. قالت عائشة: (ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدًا)(١)، وهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء لئلا يصلِّي أحد عند قبره ويتخذه مسجداً فيتخذه وثنًا، وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة منفصلة عن المسجد إلىٰ زمن الوليد بن عبدالملك لا يدخل أحد إلىٰ قبره لا لصلاة ولا لدعاء هناك ولا تمسح بالقبر بل جميع هذا إنَّما يفعلونه بالمسجد، وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلَّموا علىٰ النبي ﷺ [وأرادوا الدعاء](٢) دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر. واتفق الأئمة علىٰ أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ولا يُقَبِّلَه وهذا كُلُّه محافظة علىٰ التوحيد فإنَّ من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا** ﴾ [سورة نوح، الآية: ٢٣] قالوا: هؤلاء قوم صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، وقد ذكر بعض هذا المعنىٰ البخاري في صحيحه(٣) لما ذكر قول ابن عباس: أنَّ هذه الأوثان صارت إلىٰ العرب، وذكره ابن جرير في التفسير(٤) وغيره عن السلف، وذكره وثيمة(٥) وغيره في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٤٩٢٠).

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير الطبري» (٢٩/ ٦٢).

(٥) وثيمة بن موسىٰ بن الفرات أبو يزيد المعروف بالوَشَّاء مؤرخٌ (ت ٢٣٧هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٨/ ١١٠).

(قصص الأنبياء) من عدَّة طرق، وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يُعطلِّون المساجد ويعظِّمون المشاهد التي يُشرك فيها ويكذب ويبتدع فيها دين لم يُنزِّل الله به من سلطان، فإنَّ الكتاب والسنة إنَّما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٩]، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٨]، وقال: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٤]، وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول: «**إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنِّي أنهاكم عن ذلك**»[(١)]، والقول بتحريم السَّفر إلى غير المساجد الثلاثة وإن كان قبر نبينا ﷺ هو قول مالك وجمهور أصحابه. وكذلك أكثر أصحاب أحمد، الحديثُ عندهم معناه تحريم السفر إلى غير الثلاثة، لكن منهم من يقول: قبر نبينا ﷺ لم يدخل في العموم، ثُمَّ لهذا القول مأخذان أحدهما[(٢)]: أَنَّ السفر إليه سفر إلى مسجده، وهذا المأخذ هو

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٢) لم يذكر المؤلف المأخذ الثاني، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمأخذ الثاني: أنَّ نبينا لا يُشبَّه بغيره من المؤمنين كما قال طائفة من أصحاب أحمد: أنه يُحلف به وإن كان الحلف بالمخلوقات منهيًا عنه، وهو رواية عن أحمد. ومن أصحابه من قال في المسألتين: حكم سائر الأنبياء كحكمه، قاله بعضهم في الحلف بهم، وقاله بعضهم في زيارة قبورهم، وكذلك أبو محمد الجويني ومن وافقه من أصحاب الشافعي على أنَّ الحديث يقتضي تحريم السفر إلى غير الثلاثة، وآخرون من أصحاب الشافعي ومالك وأحمد قالوا: المراد بالحديث نفي الفضيلة والاستحباب، ونفي الوجوب بالنذر؛ لا نفي الجواز...» انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢٢٥-٢٢٦).

المأَخذ الصحيح، وهو موافق لمالك وجمهور أصحابه، ولم يُعرف أَحدٌ من العلماء المسمَّين في الكتب أَنَّه قال: يستحب السفر إلىٰ زيارة قبور الأنبياء والصالحين، لكن أَطلق بعضهم استحباب زيارة قبره ﷺ وحكىٰ بعضهم الإجماع، فإنَّه من المعلوم أَن مسجده يُستحب السفر إليه بالنص والإجماع فالمسافر إلىٰ قبره لا بدَّ إن كان عالماً بالشريعة أن يقصد السفر إلىٰ مسجده ﷺ، والعالم بالشريعة لا يقع في هذا، فإنه يعلم أَنَّ الرسول ﷺ قد أمر بالسفر إلىٰ مسجده ﷺ والصلاة فيه، وكل من علم ما يفعله باختياره فلا بد أن يقصده، وإنما ينتفي القصد مع الجهل، ولهذا كان لزيارة قبره حكم ليس لسائر القبور من وجوه متعددة، وأهل الجهل والضلال يجعلون السفر إلىٰ زيارته كما هو معتاد لهم من السفر إلىٰ [زيارة](١) قبر من يعظِّمونه يسافرون إليه ليدعوه ويدعو عنده ويبنون عنده مسجداً يصلُّون فيه تعظيماً لصاحب القبر فمن لم يُفرِّق بين ما هو مشروع في زيارة القبور وما هو منهي عنه لم يعرف دين الإسلام في هذا الباب.

* وأما زيارة النبي ﷺ لقبر أُمِّه، فإنه زارها لما سافر لفتح مكة فزارها في الطريق لم يسافر لذلك، ولا كان أحد علىٰ عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ولا علىٰ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم يسافرون لزيارة قبر [لا قبر](٢) نبيٍّ ولا صالح ولا غيرهما لا قبر نبينا ولا إبراهيم ولا غيرهما بل هذا إنَّما حدث بعد ذلك، ولا كان في الإسلام مشهد علىٰ قبر أو أَثر نبيٍّ أو رجل صالح يُسافَر إليه، بل ولا يزار للصلاة فيه والدعاء عنده بل هذا كُلّه محدث،

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

بل ولا كانوا يزورون القبور للتبرك بالميت والدعاء به، وإنَّما كانوا يزورونه إن كان مؤمنًا بالدعاء له والاستغفار كما يصلُّون على جنازته، وإن كان غير مسلم زاره رِقَّة عليه، زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: «**استأذنت ربي في أَن أزور قبر أُمِّي فَأَذن لي واستأذنته في أَن أستغفر لها فلم يأذن لي**»[1]. انتهى كلام شيخ الإسلام ملخصًا[2].

فهذا كلامه رحمه الله نصًّا ودلالة ليس فيه ما يُرَدُّ ويُنْقَد، [وأطال في ذلك إطالة كافية شافية وأتى بما يقضي العجب العجاب][3] فللّه درُّه وعلى الله أَجره حيث أَفحم الخصم الأَلد بصحيح الجواب وفصل الخطاب، وكم له من مقالة قمع بها أَهل الزيغ والضلالة، فالله يرحمه ويرضى عنه، ولكنهم كما قال الشاعر:

وَابنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ في قَـــرَنٍ لم يَستَطعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القناعِيسِ[4]

* قوله: وأما التوسل فقد صحَّ صدوره عن النبي ﷺ... إلخ.

فاعلم أَنَّ التوسل والتشفع والتوجُّه ألفاظ فيها إجمال غَلِطَ فيها أكثر الجهَّال فظنوا أَنّ كُلَّ توسل جائز، وهذا من جهلهم بالتوسل الصحيح ما في الكتاب والسنة جوازه واستحبابه كالتوسل بالأعمال الصالحة وبدعاء المؤمنين

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٢١٤ وما بعدها).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) القائل الشاعر: جرير بن عطية الخطفي التميمي (ت ١١٤هـ). انظر: «شرح ديوان جرير» (ص٢٤٠) لمهدي محمد ناصر الدين. ومعنى (لُزّ): شدَّ، و (قَرَن): أي حبل، و (القناعيس): الشّداد من الإبل.

الأحياء بعضهم لبعض وبمحبة بعضهم بعضًا، ومن أَعظمها محبة الرسول ﷺ وتقديم محبته على النفس والمال والأَهل وتعزيره وتوقيره وتَعلُّم سنته وتعليمها والدعاء إليها ونفي ما يضادها من البدع وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة، ومن هذا حديث الثلاثة[1] الذين أَووا إلى غار فانطبق عليهم فتوسلوا بأعمالهم الصالحة ففرَّج الله عنهم بهذا السبب قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٥]، ومعناها القربة إلى تحصيل المقصود، قال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين أَنَّ معنى الوسيلة هي الطاعة والعمل بما يرضيه[2]، وهي أيضًا عَلَم على أَعلى منزلة في الجنة[3] لا كما يظن الجاهل الغبي أَنَّ معناها [العام][4] حجة لسوء فهمه وقصده، فمن اعتقد غير هذا فقد أَساءَ وتعدَّى وظَلَم.

* فأَمَّا استدلاله بحديث أبي سعيد «**أَسأَلك بحق السائلين عليك**»[5]، فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف، وبتقدير ثبوته لا يدل على مراد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٨) في قوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾، قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء، عن ابن عباس: أَي القربة، وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبدالله بن كثير والسدّي وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه».

(٣) كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «**فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد**» أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وأحمد (٣/ ٢١)، وابن السني في «اليوم والليلة» (٨٤، ٨٥) قال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (١/ ٩٨): «هذا الإسناد مسلسل بالضعفاء، وعطية هو العوفي، وفضيل بن مرزوق، والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء» وضعفه ابن تيمية انظر: «قاعدة في التوسل والوسيلة» (ص٢١٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٤).

المشبِّه لأنَّ مراده السؤال بالمخلوق والإقسام به، وليس كذلك بل المراد السؤال بصفة من صفات الله، ومن صفاته، المثيب المجيب فالسؤال له والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به، ولو قُدِّر أَنه قسم لكان قسماً بما هو من صفاته فإنَّ إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله، فصار هذا كقوله في الحديث الصحيح: «**أعوذ برضاك من سَخَطِك وبمعَافَاتِك من عُقوبَتِك وأَعوذ بك مِنْك لا أُحصي ثَناءً عليك أنت كما أَثنيت على نَفْسِك**»[1]، والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نصَّ عليه الإمام أحمد وغيره من الأَئمة، فاستعاذ ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته مع أَنَّه لا يُستعاذ بمخلوق كسؤال الله بإجابته وإثابته وإن كان لا يُسئل بمخلوق، ومن قال من العلماء: لا يسأل الله إلا به لا ينافي السؤال بصفاته كما أَنَّ الحلف لا يُشرع إلا بالله، ومن حلف بغير الله فقد أَشرك[2]، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي ﷺ الحلف به[3] لم يدخل في الحلف بغير الله، وأما قول بعض الناس: أسألك بالله والرحم وقرءة من قرأ: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾[4] [سورة النساء، الآية: ١]

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٧٤٦)، وابن ماجه (١١٧٩)، والحاكم (١/ ٣٠٦)، وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٣٠).

(٢) كما جاء ذلك في حديث ابن عمر أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٢٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١٧٢) وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وابن حبان (١١٧٧) موارد. وصححه الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٨٩).

(٣) جاء في حديث قُتيلة: «فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة» أخرجه النسائي وصححه (٣٧٧٣)، وأحمد (٦/ ٣٧١)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وصححه، وصححه الألباني في« الصحيحة» (١٣٦)، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت يمين النبي ﷺ: «لا ومُقلِّب القلوب» أخرجه البخاري (٦٦١٧) و (٦٦٢٨).

(٤) على قراءة حمزة وغيره ممن خفض ﴿الأرحامِ﴾. انظر: «الاقتضاء» لابن تيمية (ص٥١٧) ت/ د. ناصر العقل.

فـهـو من بـاب التسـبب بهـا فـإِنَّ الرَّحم توجب الصلة، وتقـتـضـي أن يصل الإنسـان قرابته فسؤال السائل بالرَّحِم لغيره توسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الإقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأَنبياء وبطاعتهم.
انتهىٰ كلام شيخ الإسلام ملخصاً(١).

وذكر ابن القيم عن أبي الحسن القدوري(٢) ما لفظه قال القدوري: قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلاَّ به وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك أو يقول بحق خلقك»، والجواز قول أبي يوسف، قال أبو يوسف: بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أَكره ذلك، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام. قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز لأَنَّه لا حقَّ لمخلوق علىٰ الخالق.

قال البلدجي(٣): ويكره أن يدعو الله إلاَّ به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك لأنه لا حق للمخلوق علىٰ الخالق. انتهىٰ(٤).

ومن المستحب ما يذكر عن الفضيل بن عياض أَنَّه أَصابه عسر البول فقال: «بحبِّي إيَّاك إلا فرَّجت عَنِّي» ففرَّج عنه(٥)، وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٥٢٦ ـ ٥٢٩).
(٢) أحمد بن محمد حمدان أبو الحسين البغدادي القدوري انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق (ت ٤٢٨هـ) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٨٦).
(٣) هو أبو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الحنفي الموصلي. توفي سنة (٦٢٣هـ). انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ١٣٦) ط. دار المعرفة.
(٤) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١٦)، ومجموع فتاوىٰ ابن تيمية (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).
(٥) ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٩).

أحيا الله ولدها قالت: «اللهم إنِّي آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك وسألت الله أن يُحيي ابنها»(١)، وأمثال ذلك، وهذا كما قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٣]، فسؤال الله والتوسل إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فهذا هو المشروع.

* وأما التوسل بالذات فبدعة لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا الأئمة، وأين الدليل على جواز التوسل بذات الحي والميت، ولو كان جائزاً لما عَدَل الصحابة عن ذاته الشريفة ﷺ إلى التوسل بعمِّه العباس رضي الله عنه(٢) لأنَّه حيٌّ حاضر يرفع يديه ويدعو ويُؤمِّن مَنْ خلفه، وكذلك فعل معاوية مع يزيد [بن الأسود](٣) الجرشي لما أَجدبوا فقال رضي الله عنه: اللهم إنَّا نتوسل إليك بخيارنا قُم يا يزيد فادع الله فرفع يديه فدعا ودعوا فسقوا(٤)، وكان رسول الله ﷺ بين أظهرهم يجري بينهم النِّزاع في المسائل كالطلاق الثلاث والجدِّ والأخوة والعول وغير ذلك، وكذلك تصيبهم النوائب كالجدوب والفتن كيوم الحرَّة وغيرها، ولم يأت أَحدٌ منهم إلى قبره ﷺ يستفتيه أو يسأله أو يسأل به أن يدفع ذلك عنهم، وكذلك يأتون عائشة في حجرته الشريفة وقبره ﷺ بين أظهرهم فما يمنعهم والمقتضى موجود والمانع مفقود، وكانوا أحرص شيءٍ على الخير.

---

(١) ذكر ذلك القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٨٨).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) رواه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (رقم/ ١٧٠٣)، وذكره ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٤٤)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٦-١٣٧).

قال شيخ الإسلام قَدَّس الله روحه في الرَّدِّ على ابن البكري: وما زلت أبحث وأكشف(١) ما أَمكنني من كلام السَّلَف والأَئمة والعلماء هل جوّز أحد منهم التوسل بالصالحين بالدعاء أو فعل ذلك أحد منهم فما وجدت ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد بن عبدالسلام أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ، وأَمَّا بالنبي ﷺ فجوَّز التوسل به إِن صحَّ الحديث. يشير إلى حديث الأعمى، ويأتي الجواب عنه إن شاء الله تعالى، وذلك أَنَّ العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع قال الشافعي: نحن نتبع ولا نبتدع ونقتدي ولا نبتدي وقال: إِذا صحَّ الحديث فاضربوا بقولي الحائط ذكره عنه البيهقي(٢)، قال إبراهيم: سبقني أَقوام لو لم يجاوزوا بالوضوء الظفر ما جاوزته، وقال بعض العلماء: إنَّ القوم لم يُدخر لكم شيء دونهم لفضل عندكم. قال الإمام أحمد لما سئل عن الصراط المستقيم قال: ما عليه الصحابة والتابعون لهم بإِحسان، وقال عمر بن عبدالعزيز: سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سُنناً الأَخذ بها تصديقًا لكتاب الله واستكمالاً لطاعة الله من استنصر بها فهو منصور ومن اهتدى بها فهو المهتد ومن عدل واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وسآءت مصيرا(٣). وأبلغ من

---

(١) جاء في (أ): «وأتكلف».

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل»: «السنن الكبرى» (رقم/ ٢٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٧) بلفظ: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت».

وأَورد أبو نعيم أقوالاً للشافعي في الأخذ بسنة الرسول ﷺ من مثل: «إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فهو أولى أَن يُؤخذ به من غيره».

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (رقم/ ٩٢) واللالكائي في «السنة» (رقم/ ١٣٤).

هذا كلّه حثّه ﷺ على التمسك بسنته بقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة**»[١] فوقع كما أخبر، والتوسل بالذات مما أحدثوه بعده ﷺ مما لم يشرعه الله ولا رسوله.

* وأما استدلاله بتوسل آدم بمحمد حين أكل من الشجرة[٢] فهو من رواية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[٣] اتفق الحفاظ على طرح حديثه قال ابن عبدالحكم[٤]: سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثًا فقال: من حدثك فذكر إسناداً له منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبدالرحمن يحدثك عن أبيه عن نوح[٥]. قال الذهبي: أظنه موضوعًا وهو مخالف للقرآن قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٣] فهذا الذي قال آدم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) ولفظه: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي...**» إلخ الحديث.

أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٨٢-٨٣) قال الإمام البيهقي في الدلائل: «تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف، والله أعلم» وقال ابن عبدالهادي في «الصارم» (٦٠، ٦١): «إنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع».

(٣) قال أحمد بن حنبل: ضعيف، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء وضعفه ابن المديني جدًّا، وقال أبو زرعة: ضعيف. انظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٥٧، ٥٨)، وقال ابن حجر في «التقريب» (ص٣٤٠): ضعيف.

(٤) محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أبو عبدالله المصري الإمام الفقيه ولد سنة (١٨٢هـ)، وتوفي سنة (٢٦٨هـ). انظر: «الشذرات» (٢/ ١٥٤).

(٥) «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٥٨).

قال شيخ الإسلام قدَّس الله روحه في الرد على ابن البكري: «وأمَّا قول القائل: قد توسل به آدم فمن دونه، فيقال هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها بإجماع المسلمين، فإنه نقل مجهول عن مجهول، وهذه القصص التي فيها ذكر توسل الأنبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها إسناد معروف عن أحد من الصحابة، وإنما تذكر مرسلة كما تذكر الإسرائيليات التي تُروى عن من لا يُعرف، والقرآن قد أخبرنا بأَدعية الأَنبياء وتوباتهم وليس فيها شيء من هذا، وقد نقل أبو نعيم في (الحلية): أَن داود عليه السلام[1] قال: «يا رب أسألك بحقِّ آبائي عليك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا داود أَي حقّ لآبائك عليَّ» فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يُسأل بحق الأنبياء وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات»[2]. انتهى كلامه رحمه الله، فبيَّن أنّه لم يصح في هذا شيء عن النبي ﷺ، وأَنَّ جميع ما روي في ذلك باطل لا أَصل له، وهؤلاء الضُّلال يستدلون بما هو كذب أَو موضوع ويتركون نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة.

تـــبًّا لمن نَبَذ القرآن وراءهُ   وإذا اســـتدلَّ يقولُ قَال الأَخطل

* وأَمَّا حديث الذي فيه: «**يا عباد الله احبسوا**»[3] وهو من رواية معروف

---

(١) جاء هذا القول عن يوسف عليه السلام في «الحلية» (١٠/ ٩).

(٢) «الرد على البكري» لابن تيمية (ص٦٥).

(٣) روي من حديث ابن مسعود: «**إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا**» أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٧) وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٧٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٢): «فيه معروف بن حسان وهو ضعيف»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٥٥).

ابن حسان السمرقندي قال ابن عدي: منكر الحديث. وقال السيوطي: حديث ضعيف. قال الشيخ سليمان بن عبدالله حفيد إمام الدعوة النجدية محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «وأقول بل هو باطل، إذ كيف يكون عن سعيد عن قتادة ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل يحيى القطان وإسماعيل بن علية وأبي أسامة وخالد بن الحارث وأبي خالد الأحمر وسفيان وشعبة وعبد الوارث وابن المبارك والأنصاري وغندر وابن عدي ونحوهم حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث، فهذا من أقوى الأدلة على وضعه، وبتقدير ثبوته لا دليل فيه لأَنَّ هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما قال: «**فإنَّ لله حاضراً سيحبسه عليكم**»»[1]. انتهى كلامه رحمه الله، ومن المعلوم أَنَّ النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أَن يطلب ردّها وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردِّها بل نقطع أنه إنَّما أمره أن ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردُّوا دابته، فهذا يدل إنْ صح على أَنَّ لله جنوداً يسمعون ويقدرون ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [المدثر: ٣١]، وروي زيادة لفظة «**فإن لله حاضراً**» فهذا صريح في أَنّه ينادي حاضراً يسمعه، فكيف يستدل بذلك على جواز الاستغاثة بأهل القبور الغائبين، فمن استدل بهذا الحديث على دعاء الأموات لزمه أن يقول إنَّ دعاء الأموات ونحوهم إمَّا مستحب أو مباح لأنَّ لفظ الحديث «**فلينادوا**» هذا أمر أقل أحواله الاستحباب أو الإباحة، ومن ادّعى أَنَّ الاستغاثة بالأموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الإسلام، فإذا

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٤٧). ط. المكتب الإسلامي.

تحققت أَنَّ الرسول ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن ينادي من لا يسمعه ولا له قدرة[1] على ذلك تبيّن لك ضلال من استدل به على دعاء الأموات والغائبين الذين لا يسمعون ولاينفعون، وهل هذا إلاَّ مضادة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨]، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٤]، فهذه الآيات وأضعاف أضعافها نصٌّ في تضليل من دعا من لا يسمع دعائه، ولا له قدرة[2] على نفعه ولا ضرِّه، ولو قُدِّر سماعه فإنَّه عاجز فكيف تترك نصوص القرآن الواضحة وتُردّ بقوله: «**يا عباد الله احبسوا**»! مع أنّه ليس في ذلك معارضة لما دل عليه القران ولا شبهة معارضة ولله الحمد، وهؤلاء الضُّلال يتّبعون أسلافهم فيما أَصَّلوا وحصَّلوا وبعضهم يقول: لا نسلِّم لكتاب الله ولا لسنة رسول الله ﷺ خلا أشياخنا، ومن كانت هذه حاله سقط الكلام معه نعوذ بالله من الخذلان.

* وأَمَّا ما ادَّعاه الضَّال المفتري أَنَّ الربوبية والإلهية شيءٌ واحد فكذب على الشَّرع واللغة وعلى أهل العلم، أَمَّا الشَّرع ففرَّق الله بينهما في غير ما آية كقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٦]، وأخبر

(١) في (ب): ولا قدرة له.

(٢) في (ب): ولا قدرة له.

أَنَّهم مؤمنون مع شركهم فإيمانهم قولهم إنَّ الله هو الخالق الرزاق المدبر وشركهم هو تركهم إفراد الله بالعبادة الذي لأجلها خلق الخلق كما دلت عليه الآيات الكريمات من القرآن كقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾(١) إلى قوله: ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١] إلى غير ذلك من آيات القرآن فكيف يجعل ما جعل الله شيئين شيء واحد، وأَمَّا اللغة فالربُّ من التربية والملك، والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة(٢) وصارت العرب تطلق الربَّ على الإله فسمّوا معبوداتهم أَربابًا من دون الله لأَجل ذلك أَي لكونهم يسمّون الله ربًّا بمعنى إلهًا، والربُّ والإله في صفة الله متلازمة غير مترادفة، وكانوا يقولون إن الله سبحانه هو إله الآلهة لكن يجعلون معه آلهة أخرى مثل الصَّالحين والملائكة وغيرهم ممن يقولون إِنَّ الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده، فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تَبيَّن لك غربة الدين، وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبيّة على بطلان مذهبهم لأنَّه إذا كان هو المدبِّر وحده، وجميع ما سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعونه ويدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا.

وأَمَّا تعريف العلماء فقالوا: إنَّ الدِّين مبني على أَنَّ الله واحد في ملكه وأَفعاله لا شريك له وهذا هو توحيد الربوبية ويدخل فيه الإيمان بالقدر وهو الذي أَقرّ به المشركون، ولا يكفي في حصول النجاة وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وهذا لا بدَّ من الإتيان به وواحد في إلهيته وعبادته لا نِدَّ له وهو

---

(١) لم تذكر الآية في (ب).

(٢) جاء في (أ): بالعباد. والمثبت من (ب) وهي أظهر.

إخلاص العبادة بجميع أنواعها وهذا هو الذي جحده المشركون وأُبيحت دماؤهم واستُحلت به أموالهم ومحارمهم، وهو الذي أُنزلت لأجله الكتب وأرسلت لأجله الرسل ولأجله خلقت الخليقة وبه صار الناس سعداء وأشقياء، وأيضًا لا يكفي في النجاة حتىٰ يأتي بذينيك التوحيدين، وهذا دليل التلازم لا الترادف كما يظنه هذا الضَّال المفتري، وإن شئت قلت: التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو ما تضمنته السورة الكريمة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص، الآية: ١] بكمالها وتوحيد في الطَّلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة، وهو ما تضمنته السورة الكريمة سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الكافرون، الآية: ١] بكمالها ذكره شيخ الإسلام وابن القيم(١) وذكر معناه غيرهما.

* * *

(١) انظر: «كتاب الصواعق المرسلة علىٰ الجهميّة والمعطلة» لابن القيم (٢/ ٤٠١) ت/ علي الدخيل الله ط. دار العاصمة، وكتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) ت/ علي العمران.

وهذا الرجل المفتري لا يتميز له في أقوال الناس وبيان حقِّها من باطلها ولا له معرفة بطريق الاستدلال فلا ذاكراً لكلام منقول ولا مبيّناً لمعنىٰ معقول ولا أَثر مقبول، والعلم شيئان إِمَّا نقل مُصدَّق وإما بحث مُحقق وما سوىٰ ذلك فهذيان مسروق[١]، وكثير من كلام هؤلاء فهو من الهذيان، وما يوجد فيه من نقل فمنه مالا يميز صحيحه من فاسده وفيه ما لا ينقله علىٰ وجهه حتىٰ يميز بين ما يدل وما لا يدل، وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

والعلمُ يدخُلُ قلبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ ... من غير بوَّاب ولا اسْتِئذانِ
ويردُّهُ المحرومُ من خُذلانِـهِ ... لاتُشقِنا اللَّهمَّ بالخذلانِ[٢]

وقال أيضًا:

يا فِرقةً جَهِلت نُصُوص نبيِّهمْ ... وقُصودَهُ وحَقيقةَ الإِيمانِ
فَسَطَوا علىٰ أَتباعه وجُنُودِهِ ... بالبَغي والعُدوَان والبُهْتَانِ[٣]

وقال غيره:

يا فِرقةً مَا خان دينَ محمدٍ ... وجَنىٰ عليه ومِلَّة إلاَّ هي[٤]

وقال ﷺ لحصين بن المنذر الخزاعي: «**كم إلهًا تعبد** قال: سبعة ستة في الأرض وواحداً في السماء **قال: فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك**، قال: الذي في السماء»[٥]. رواه أحمد وغيره.

---

(١) «الرد علىٰ البكري» لابن تيمية (ص٣٧٦).

(٢) «الكافية الشافية» لابن القيم (ص٢٠٢) وفيها: (لا تشقنا اللهم بالحرمان).

(٣) «االكافية الشافية» لابن القيم (ص٢٩٢).

(٤) لم أَهتد إلىٰ مصدره ولا إلىٰ معرفة من قائله.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وأحمد (٤/ ٤٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٩)، والحاكم (١٩٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٩٠).

* وأما استدلاله بحديث الأعمى[١] على جواز التوسل بذوات الأنبياء وغيرهم، فالجواب من وجوه:

الأول: أَنَّ الحديث إذا شذَّ عن قواعد الشرع لا يُعمل به فإنهم قالوا: إنَّ الحديث الصحيح إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علَّة، فهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به في هذا الباب لمخالفته قواعد الشرع وأصوله بل من احتجَّ به على دعاء الميت والغائب فقد خالف نص الكتاب والسُّنَّة مع أَنَّه بحمد الله يوافق ذلك ولا يخالفه فليس فيه دليل على ما ذكره، وكيف يستدل بما ليس فيه دلالة مطابقة ولا تضمّن ولا التزام!

الوجه الثاني: أن يقال هذا الحديث قد رواه النسائي في اليوم والليلة وابن شاهين في دلائليهما وغيرهما كلهم عن عثمان بن حنيف ولم يذكروا فيه هذه اللفظة أعني قوله: «يا محمد» ولفظ الحديث عندهم عن عثمان بن حنيف أَنَّ رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله إنِّي قد أُصبت في بصري فادع الله لي، فقال النبي ﷺ: «**توضَّأ وصلِّ ركعتين ثم قل: اللهم إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّ محمد نبيِّ الرحمة إنِّي أَتشفَّع به إليك في ردِّ بصري اللهم شفِّع نبيَّ فيَّ**» ففعل ذلك فردَّ الله عليه بصره، وقال: «**إذا كانت لك حاجة فبمثل ذلك فافعل**» انتهى، فهذا الحديث بهذا اللفظ لا حجة فيه للمبطل، لأَنَّ غايته أَنّه توسَّل بالنبي ﷺ، وساقه الترمذي بسياق قريب من هذا فقال: حدثنا محمود

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٩، ٦٦٠، ٦٦٤)، وابن ماجه (١٣٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١٣)، وصححه، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٢٩٠)، وانظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على الحديث في «التوسل والوسيلة» (١٨٥ ـ ١٩٨).

ابن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أَنَّ رجلاً ضرير البصر أتىٰ النبي ﷺ فقال: اُدع الله أَن يعافيني، فقال: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت**»، قال: إذًا أَدعه فأَمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «**اللهم إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمد نبيِّ الرحمة يا محمد إنِّي توجّهت بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى اللهم فشفِّعه فيَّ**». هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي[1]. انتهىٰ هذا اللفظ بحروفه، وفي نسخة أخرىٰ «**توجهت به إلى ربِّي**»، وليست هذه اللفظة في الحديث في سياق هؤلاء الأئمة أعني قوله: «**يا محمد**» التي هي غاية ما يتعلق بها المبطلون.

الوجه الثالث: أن يقال علىٰ تقدير صحة هذا اللفظ فليس فيها ما يدل علىٰ دعاء النبي ﷺ بعد موته، ولو كان فيها ما يدل علىٰ ذلك لفعله الصحابة رضي الله عنهم فلما ثبت أَنَّ الصحابة لم يفعلوه بل ولا أجازوه علمنا أنه ليس في ذلك دلالة فيبقىٰ أن يقال ما معناه.

فنقول: ذكر العلماء في معناه قولين: الصحيح منها، وهو الذي اختاره الأَكثر أَنَّه استشفع بدعائه فدل علىٰ أنه شَفع له، وهو الموافق للكتاب والسنة وما جرىٰ عليه الصحابة والتابعون كما تقدم، وقوله فيه: «**يا محمد**» خطاب لحاضر كما نقول في صلاتنا: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»[2]

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوىٰ» (١/ ٢٦٦): «هكذا وقع في الترمذي وسائر العلماء قالوا: هو أبو جعفر الخطمي. وهو الصواب».

(٢) انظر: «سنن أبي داود» (رقم/ ٩٦٨، ٩٦٩).

وكما يستحضر الإنسان من يحبه ويبغضه ويخاطبه، فهذا يبين أَنَّ معنىٰ التوسل والتوجُّه به وبالعباس وغيرهما في كلامهم هو التوسل والتوجّه بدعائه وبدعاء العباس ودعاء من توسلوا به، وهذا هو المشروع بالاتفاق[(١)] قاله شيخ الإسلام[(٢)].

* وأَمَّا قوله: إذ هو ﷺ حيٌّ في قبره فهذه دعوىٰ مجردة مضمونها أَنَّه يُسأل ويُدعىٰ ويُستفتىٰ كما يُسأل حيًّا، وهذا لم يفعله الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان ولا الأئمة، وفيه مخالفة للكتاب والسنة، فإِنّه لم يأت دليل فاصل أَنّه حيٌّ في قبره، قال العلامة ابن القيم: لم يرد حديث صحيح أَنَّه ﷺ حيٌّ في قبره[(٣)]، لكن نقطع أَنَّ الأَنبياء لا سيما خاتمهم وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أعلا رتبة من الشهداء، وقد قال

(١) جاء في (أ): (وهذا مشروع بالاتفاق).

(٢) «الرد على البكري» لابن تيمية (ص١٦٤).

(٣) لم أجد هذا النص عن ابن القيم فيما بين يدي من مصادر، ولعل المؤلف ذكره بالمعنىٰ أَخذاً من نظم ابن القيم في «النونية» (ص٢١٥ ـ ٢١٧) اعتناء/ عبدالله العمير، حيث قال رحمه الله:

ولأجل هذا رامَ ناصرُ قولكم ... تَرْقيعَهُ يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حيٌّ كما ... قد كان فوق الأرض والرُّجمان
من فوقه أطباق ذاك التربِ والـ ... ـلبنَاتُ قد عُرِضت على الجُدران
لو كان حيًّا في الضّريح حياته ... قبل الممات بغير ما فُرقانِ
ما كان تحت الأرض بل من فوقها ... والله هذي سُنَّة الرَّحمانِ

إلىٰ أن قال ـ رحمه الله ـ:

ولقد أبان الله أنَّ رسوله ... مَيْتٌ كما قد جاءَ في القرآنِ
أفجاء أَنَّ الله باعثه لنا ... في القبر قبلَ قيامة الأبدانِ

سبحانه عن الشهداء إنهم: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]، فالأنبياء أولى بذلك قال الله سبحانه: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]، ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠]، فأثبت سبحانه للشهداء موتًا بدخولهم في العموم كالأنبياء، وهو الموت المشاهد ونفى عنهم موتا، فالموت المثبت غير الموت المنفي، فالموت المثبت هو مفارقة الروح للجسد وهو مشاهد محسوس والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن، وقال البيضاوي على قوله سبحانه: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٤]: «فيه تنبيه على أنَّ حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هو أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي»(١). انتهى، ومن العجب أنَّه لو جاء إنسان إلى ميّتٍ على وجه الأرض شهيدٍ أو غيره يطلب منه أن يدعو له فضلاً أن يطلب منه أن ينصره على عدوٍ أو يكسوه، لقال الناس هذا مجنون، فإذا صار رميمًا في بطن الأرض زيَّن لهم الشيطان ودعاة الضلال من الإنس الاستغاثة به وطلب الحاجات منه، والعامي سليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته كما حكي لنا أنّ رجلاً من أهل مكة المشرَّفة يُنسب إلى علم قال لرجل عاميٍّ من أَهل نجد: أَنتم ما للأَولياء عندكم قدر، والله يقول في الشُّهداء: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» ومعه حاشية الشهاب المسماة «عناية القاضي وكفاية الراضي» (٢/ ٤٢٧) ط. دار الكتب العلمية.

عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٦٩]، فقال العامي: هل قال يَرزقون بفتح الياء أو قال يُرزقون بالضم، فإن كان يعني بالفتح فأَنا أَطلب منهم فإن كان يعني بالضم فأَنا أَطلب من الذي يرزقهم، فقال المكيُّ: حجاجكم كثير وسكت.

ويقال لمن ادّعىٰ أَنَّ النبي ﷺ حيٌّ في قبره كحياته [لما كان][1] علىٰ وجه الأرض ثبت أَنّه ﷺ مات بنصِّ القرآن، فما حجتكم أَنَّه عادحيًّا كما كان علىٰ وجه الأرض قبل موته، فلن يجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً وليس عندهم إلاَّ مجرد دعوىٰ أو شبهة لا حقيقة لها.

ويدل علىٰ بطلان هذه الدعوىٰ ما رواه أبو داود عنه ﷺ أنه قال: «**ما من رجل يسلّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أَردَّ عليه السلام**»[2]، فهذا يدل علىٰ أَنّ روحه الشريفة ﷺ ليست في بدنه دائمًا، وإنّما هي في أَعلا عليين، ولها اتصال بالجسد الله أعلم بحقيقته لا يدركه الحسُّ ولا العقل، وليس ذلك خاصًّا به ﷺ بحديث تقدَّم عنه ﷺ أَنَّه قال: «**ما من رجل يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلّم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يردَّ عليه السلام**»[3]، وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أَنَّه قال: «**إنَّ أرواح الشُّهداء في حواصل طير خضر**

(١) زيادة من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في «الاستذكار» (١/ ٢٣٤)، وصححه، وقال الحافظ عبدالحق الإشبيلي: «هو صحيح الإسناد» انظر: «الصارم المنكي» (ص٢٢٤).

تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»[(١)] ، وقد أخبر سبحانه أَنَّهم في البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حقِّ النبي ﷺ: أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ولن يجمع الله عليك موتتين[(٢)] . وقد قام الدليل القاطع أَنَّه عند النفخة ـ في الصور لا يبقىٰ أحد حيًّا، فلو كان الأمر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتتين ولما قال ﷺ: «**أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ**»، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أَرِمت، يعني بليت، قال: «**إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(٣)] ولم يقل أَنَا حيٌّ في قبري كحياتي الآن صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم الدين، وهذا التفصيل هو الحق في هذا الباب، وفي مسند الإمام أحمد حديث في البشارة لكل مؤمن بأَنَّ روحه تكون في الجنة تسرح فيها وتأكل من ثمارها وهو بإسناد صحيح عزيز اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، فإنَّ الإمام أحمد رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس رحمه الله عن محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده**»[(٤)] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ أبا بكر خرج

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٥)، (٤٠٩٧)، والنسائي (١٨١٨)، وأحمد (٢٩٢٧) و(٢٣٧١٨).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) و(١٥٣١)، والنسائي (١٣٧٣)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (٤/٨) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/١٩٦).

(٤) أخرجه النسائي (٢٠٤٦)، وابن ماجه (٤٢٦١)، وأحمد (١٥٢١٨). صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٩٥).

وعمر يُكلِّم الناس وقال: اجلس ياعمر، وقال أبو بكر: أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً بشراً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤][١]، وهؤلاء الضُّلال يزعمون أَنَّ من أُعطي كرامة أو معجزة إذا كان نبيًّا أو وليًّا أنه يُعظَّم فوق منزلته التي أنزله الله إياها وهذا إلحاد وضلال. قال الله سبحانه عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [سورة مريم، آية: ٣٠]، وقال عن محمد ﷺ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، الآية: ٩٩]، والعبد لا يكون معبوداً ولا مدعوًّا، وسمَّاه عبداً في مقام التحدي ومقام الإنزال ومقام الإسراء ومقام الدعوة، وأَمَّا كونه يُدعىٰ من دون الله أو يستغاث به أو بغائب فهذا ليس من دين الإسلام في شيء بل هو من دين المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣].

* وأَمَّا ما ادَّعاه الضَّال المفتري أَنَّ الدُّعاء غير النِّداء وأَنَّه يجوز نداء الميت والغائب، فهذا الرجل يتكلم بالعماية والغواية لا بالرشد والهداية، وإلاَّ فكيف يفرِّق بين ما جمع الله بينهما ورسوله ولغة العرب.

أَمَّا اللغة فإنَّ الدُّعاء عندهم هو النِّداء لكن الدعاء عندهم أَعمُّ يكون بصوت وغير صوت، وأَمَّا النداء فلا يكون إلاَّ بصوت. قال الشاعر:

---

(١) سبق تخريجه.

وَدَاعٍ دَعىٰ يا مَنْ يُجيب إلىٰ النِّــــــداء
فَلم يَسْتَجِبْهُ عند ذاك مُجيــــب(١)

ويقال لهذا أيضًا: تفريقك بين الدعاء والنِّداء تفريق باطل مخالف للكتاب والسُّنّة وإجماع الأمَّة مع مخالفته للُّغة، فقد سمَّىٰ الله في كتابه سؤال عباده له دعاءً ونداءً. قال الله تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [سورة القمر، الآية: ١٠]، وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٧٦]، فسمَّاه في موضع دعاء وموضع نداء، وقال عن زكريا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٣]، وقال في موضع: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٨]، وقال عن أيوب: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨٣]، وقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨٧]، وقال ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مسلم إلاَّ أُستجيب له**»(٢)، وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ: «**أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي**

(١) جاء في هامش النسخة (ب) «هذا البيت يستدل به علىٰ أن الدعاء والنداء اسمان لمسمًّىٰ واحد وأما الاستدلال به علىٰ أن النداء لايكون إلاَّ صوتًا فلا يدل عليه، وإنما يستدل عليه بإجماع أهل اللغة علىٰ...» هذا ما وجدته، ويظهر سقوط أكثر من كلمة بسبب تآكل طرف الورقة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦)، وأحمد (١/ ١٧٠)، والحاكم (١/ ٥٠٥) وحسنه الحافظ ابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٤/ ١١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٣).

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(١)] [سورة البقرة، الآية: ١٨٦]، وقد سمّى الله طلب المخلوق من المخلوق واستعانته به دعاء واستغاثته نداء قال سبحانه: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص، الآية: ١٥].

وقال الصحابة: «قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق»[(٢)] وقال الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٤]، قوله: ﴿فَادْعُوهُمْ﴾: أي اطلبوا منهم وقال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٣]، فأراد بالدعاء هنا الطّلب الذي هو ضد الصمت، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٥] أي: استعينوا بشركائكم وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [سورة القصص، الآية: ٦٤] أي: استعينوا بهم ليخلّصوكم من عذابي ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٥٢] ليخلّصوكم مما أنتم فيه ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾، صريح في الطلب منهم، وقال: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣] أي: استعينوا بهم، وقال: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣٨] فسمّى سبحانه استعانتهم بهم

---

(١) أورده ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٩٢) بسنده، وانظر: تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨)، و«أضواء البيان» للشنقيطي (١/ ٩٨).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩)، وباقي الحديث هو قوله ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»**. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث». وأخرجه أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨٧) بلفظ: **«لا يُقام لي، إنّما يقام لله تبارك وتعالى»**.

دعـاء، بل قد سمّىٰ الله سبحانه نعيق الداعي بالبهائم دعاءً ونداءً فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧١]، ونَصَّ العلماء علىٰ أَنَّ هذا عطف مرادف فجيمع ما قدَّمنا صريح في أَنَّ سؤال العبد ربَّه يُسمَّىٰ دعاءً ونداءً، وأَنَّ استعانة المخلوق بمخلوق وطلبه منه يُسمَّىٰ دعاء ونداء، وقد قال النحويون: الدُّعاء هو النِّداء بأحرف مخصوصة، وإنَّ المنادىٰ منصوب لفظًا أو محلاً بفعل محذوف فقولك: يا زيد، أَدعو زيدًا، ومن أقسام المنادىٰ المستغاث، وهو كلُّ من نودي ليخلِّص من الشدة أو يعين علىٰ دفع مشقة، كقول عمر رضي الله عنه: **يالله يا للمسلمين**، أي: أدعوك للمسلمين، فاتضح بطلان قوله هذا في أَنَّ طلب المخلوق من المخلوق لا يسمَّىٰ دعاء بل نداء فهو يقول إِنَّ الطَّلب من المسيح وأمِّه والملائكة وعزير والجنّ نداء [لا دعاء][1] فما أدري ما يقول في من طلب من العُزَّىٰ ومناة واللات، فإن قال إنَّ الطَّلب منها لا يُسمَّىٰ دعاء بل هو نداء، والنداء لا يضرّ عنده افتضح عند العامة والخاصة وإن قال إِنَّه يُسمَّىٰ دعاء، قيل له نقضت أصلك حيث جعلت الطَّلب من هذه الأوثان دعاء ومن غيرها نداء، فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة إلىٰ الأموات والغائبين والملائكة والمسيح وأمِّه وعزير والجن نداء وبالنسبة إلىٰ العُزَّىٰ وغيرها من الأوثان دعاء مع أَنَّه يلزمه أَلاَّ يُسمِّيه دعاء إذ لم يسمِّ مدعوه ربًّا وإلهًا لقوله: إنَّ الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًّا وإلهًا.

(١) زيادة من (ب).

إذا تبيَّن بطلان قول هذا فالدعاء يكون أيضًا أعمُّ من [النِّداء][(١)] لأنه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح: ﴿وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ٤٧]، وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٩]، وقول السائل أشكو إلىٰ الله حاجتي وذنوبي، وأسأل الله كذا وأعوذ به من كذا، وكل هذا يُسمَّىٰ دعاء وسمَّىٰ النبي ﷺ قول ذي النون: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨٧] **دعوة** كما تقدم في الحديث[(٢)]، وفي الترمذي: «**كان أكثر دعاء النبي ﷺ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[(٣)]، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**»[(٤)]، فسمَّىٰ هذا دعاء مع أنه ليس فيه تصريح بالسؤال، قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام علىٰ دعوة ذي النون قال: «السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر إمَّا بوصف حاله أو حال المسؤول أو بهما، وهو من حسن الأدب في السؤال كقول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان، وبالطلب أظهر من جهة القصد والإرادة، فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لأنَّ السائل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة فإن تضمَّن وصف

---

(١) جاء في (أ): الدعاء.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وأحمد (٢/ ٢١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٦٧)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

حال السائل والمسؤول فهو أكمل كقوله: «**اللهم إنِّي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنَّك أنت الغفور الرحيم**»(١)، وفيه وصف حال نفسه المقتضي حاجته إلىٰ المغفرة، ووصف الرب بما يقتضي الإجابة وهو وصف بالمغفرة والرحمة فهذا و نحوه أكمل الأنواع»(٢) انتهىٰ.

قال ابن كثير: قد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كقول موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، وقد يتقدم مع ذلك وصف المسؤول كقول ذي النون: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وقد يكون بمجرد الثناء علىٰ المسؤول كقول الشاعر(٣):

أأذكرُ حاجتي أَم قد كفاني ... حياؤُك إنَّ شيمتَك الحياءُ
إذا أَثنىٰ عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تعرّضه الثَّناءُ(٤)

وهذا الذي ذكرنا كالشمس في البيان والوضوح، ولكن عين الهوىٰ عمياء نعوذ بالله من رين الذنوب وهوىٰ النفوس اللَّذان يصدان عن معرفة الحق واتِّباعه(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤)، (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (١٠/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٣) أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان. «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٤٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ص١٣٦ ـ ١٣٧) ت/ سامي السلامة.

(٥) جاء في هامش نسخة (ب): «وهؤلاء الضُّلال لا يستحقون المطاولة والمقاولة لا سيما في مثل هذه المقالة الخارقة للإجماع الساقطة عند جميع المسلمين بلا (...) لكن لما رفع من شأنها بعض المتأخرين لإعراضهم عن نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها ذكرنا طرفًا من المسألة وبا (...)».

إذا عرفت هذا فاعلم أنَّ الدعاء يَرِدُ في الكتاب والسنة بمعنى الطَّلب والمسألة وبامتثال الأمر واجتناب النهي ويَرِد بمعنى المسألة والطلب بالصيغة القولية، وقد فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠] بدعاء المسألة ودعاء العبادة والقولان معروفان، والآية تشمل النوعين، قاله شيخ الإسلام وغيره وذكر: أَنَّهما متلازمان فكلُّ عابد سائل وكلُّ سائل عابد[١]. وقال رحمه الله: «والدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة والمسألة ـ ثم قال ـ فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده ولكن إذا جمع بينهما فيراد بالسائل من يطلب بصيغة السؤال ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال، وسُمِّي الذكر دعاء لما فيه بالتعريض بالمسألة، قال: وهذه الصيغة الطلب والاستدعاء[٢] إذا كانت بما يحتاج إليه الطَّالب أَو ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنَّها تقال على وجه الأمر لما في ذلك من حاجة الطالب، وإمَّا لما فيه من نفع المطلوب منه، وأمَّا إذا كانت منة الفقير من كل وجه للغنيِّ من كل وجه فإنه سؤال محض بتذلل وافتقار» انتهى[٣]. وقد نَصَّ على ما ذكره الشيخ من الفرق علماء المعاني صاحب المفتاح[٤] وغيره، وفرَّقوا في الصيغة الواحدة نظراً إلى المخَاطب والمخاطِب ـ بكسر الطاء ـ فقالوا: هي من الأعلى أمر ومن المساوي التماس،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٤٠)، و«بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٨٣٦) ت/ علي العمران.

(٢) جاء في (أ) (الاستدلال) والمثبت من (ب) و«مجموع الفتاوى».

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٣٧ـ ٢٤٦).

(٤) انظر: «مفتاح العلوم» (ص٣٠٢) للإمام أبي يعقوب يوسف السكّاكي (ت ٦٢٦هـ) ط. دار الكتب العلمية.

ومن دونه مسألة وطلب، وقد فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٥] بدعاء المسألة قاله العلامة ابن القيم رحمه الله، وقرر أنه في هذه الآية أظهر، وذكر أنَّ استعمال الدعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللفظ في حقيقته الواحدة ليس من المشترك ولا المتواطيء ولا المجاز[١]. قال في القاموس: الدُّعاء هو الرغبة إلىٰ الله تعالىٰ[٢]. وقال الحسين بن محمد النعمي[٣]: «الدُّعاء والنِّداءُ وضعًا لأَن يكونا من فقير عاجز خاضع لغني قادر عزيز قاهر»[٤] انتهىٰ. وقال ﷺ: **«الدعاء مخ العبادة»**[٥] وفي لفظ: **«الدعاء هو العبادة»**[٦]، وقال ﷺ: **«الدعاء عماد الدين»**[٧] الحديث، والحصر في قوله: **«الدعاء هو العبادة»** يقتضي الاختصاص الادعائي، والتمييز علىٰ سائر

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (٣/ ٨٣٥-٨٣٦، ٨٤٢) ت/ علي العمران، و «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص١٦٠) ت/ زائد النشيري.

(٢) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص١٢٨٢) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) حسين بن مهدي النعمي التهامي ثم الصنعاني من أهل صبيا تعلّم وأقام في صنعاء (ت ١١٨٧هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٦٠).

(٤) لم أهتد إليه بهذا النص ولعله ذكره بالمعنىٰ، انظر: «معارج الألباب» للنعمي (ص٢٤٢-٢٤٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٩٦)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله تفرد به ابن لهيعة، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٦٦٩).

(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأحمد في «المسند»، (١٨٥٤٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، والنسائي (١١٤٦٤)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (١٨٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٠)، وابن أبي شيبة (٩٢١٦)، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

(٧) أخرجه الحاكم (١٨٥٥) وصححه قال في «مجمع الزوائد» (١٤٧١٠): فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد: متروك.

العبادات كقوله: «**الحج عرفة**»(١). أي ركن العبادة الأعظم هو الدُّعاء.

قال العلقمي(٢) في شرح الجامع الصغير: حديث «**الدُّعاء مخ العبادة**» قال شيخنا في النهاية: مُخّ الشيء خالصه، وإنما كان مُخها لأمرين:

أحدهما: أَنَّه امتثال لأمر الله حيث قال: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠] فهو محض العبادة وخالصها، والثاني: إذا رأىٰ نجاح الأمور من الله قطع أمله عمن سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأنَّ الغرض من العبادة(٣) الثواب المطلوب عليها، وهذا هو المطلوب من الدُّعاء وقوله: «**الدعاء هو العبادة**»، قال شيخنا قال: [الطيبي](٤): أتىٰ بالخبر المعرّف باللام ليدل علىٰ الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، وقال شيخنا: قال البيضاوي: لما حكم بأنَّ الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أَنَّ تسمَّىٰ عبادة من حيث أَنَّ فاعلها مقبل علىٰ الله معرض عمن سواه، ولا يرجو ولا يخاف إلاَّ منه، واستدل عليه بالآية يعني قوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠] فإنّها تدل علىٰ أمر مأمور به إذا أتىٰ به المكلّف قُبلٍ منه لا محالة وترتّب عليه المقصود ترتب الجزاء علىٰ الشَّرط، والمسبَّب علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٥)، والترمذي (٥/ ٢٥٦)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٣)، والحاكم (١/ ٤٦٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) علي بن أحمد بن محمد العزيزي البولاقي الشافعي فقيه مصري من العلماء بالحديث مولده بالعزيزية بمصر توفي سنة (١٠٧٠هـ) ببولاق. انظر: «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥٨).

(٣) جاء في (ب): (العبادات).

(٤) جاء في (أ): (الطيالسي) والمثبت من المصدر ونسخة (ب).

السبب، وما كان كذلك كان أَتم العبادة وأكملها»(١) انتهىٰ كلام العلقمي رحمه الله، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء، الآية: ٦٧] ظاهر في دعاء المسألة المناسبة للحال والواقعة في حديث عكرمة بن أبي جهل لما فرَّ إلىٰ السِّيف وركب البحر فجاءتهم ريح عاصف وظنوا الهَلَكة أَخلصوا الدعاء لله تعالىٰ وصاروا يتواصون بذلك ويقول بعضهم لبعض: لا يُنجِّي في مثل هذا إلا الله، فقال عكرمة: إن كان لا يُنجِّي في هذه الشِّدة إلاَّ هو تعالىٰ فكذلك لا ينجي في الرَّخاء إلاَّ هو، أو قال: ولئن أَنجاني الله لأرجعنَّ إلىٰ محمد ولأضعن يدي في يده، فكان كذلك وأسلم وحسن إسلامه رحمه الله والقصة معروفة عند أهل العلم(٢). وفي الحديث: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله عنه»(٣) فسمَّاها دعوة وهي سؤال وطلب وتوسل وتوحيد، وما زال أهل العلم يستدلون بالآيات التي فيها الأمر بدعاء الله والنهي عن دعاء غيره علىٰ المنع من مسألة المخلوق ودعائه فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكتبهم مشحونة بذلك لا سيما شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وغيرهما يوضح هذا أنَّ ما لا يقدر عليه إلا الله من الأمور العامة الكلية كهداية القلوب ومغفرة الذنوب والنصر علىٰ الأعداء وطلب الرزق من غير جهة معينة والفوز بالجنة والإنقاذ من النار ونحو ذلك غاية في القصد والإرادة فسؤاله وطلبه غاية في السؤال والطلب

---

(١) انظر: «السراج المنير علىٰ الجامع الصغير» لعلي بن أحمد العزيزي (٢/ ٢٩٠) ط. الحلبي الثالثة ١٣٧٧هـ.

(٢) انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (رقم الترجمة/ ٣٧٤١) ط. دار المعرفة.

(٣) سبق تخريجه.

وفي ذلك من الذل وإظهار الفاقة والعبودية ما لا ينبغي أن يكون لمخلوق أو يُقصد به غير الله، وهذا أحد الوجوه في الفرق بين دعاء المخلوق فيما يقدر عليه من الأسباب العادية الجزئية وبين ما تقدم مع أَنَّ سؤال المخلوق قد يحرم مطلقًا، ومسألة المخلوق في الأصل محرمة، وإنما أُبيحت للضرورة قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [سورة الشرح، الآية: ٧، ٨] وثبت عنه ﷺ: «**أنَّه بايع نفراً من أصحابه على أَنْ لا يسألوا الناس شيئًا فكان أحدهم يسقط السَّوط من يده ولا يقول لأحد ناولنيه**»(١) وقد اشتهر عنه ﷺ أَنَّه منع من تعليق الأوتار والتمائم، وأمر بقطعها وبعث برسله بذلك(٢) كما في السنن وغيرها. وقال: «**من تعلّق شيئًا وُكل إليه**»(٣) بل نهىٰ عن قول الرجل ما شاء الله وشئت وقال لمن قال له: ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله ندًّا**»(٤)، ومنع من التبرك بالأشجار، وقال لأبي واقد الليثي وأصحابه من

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك الأشجعي.

(٢) كما جاء في حديث أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً: «لا تبقين في رقبة بعير قِلادة من وَتَر أو قِلادة إلا قطعت»، أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥)، وفي حديث عبدالله بن مسعود أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠) قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شِركٌ**»، وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أبصرَ علىٰ عضد رجل حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه**» قال: من الواهنة، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا انبذها عنك فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبدا**»، أخرجه أحمد (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه (٣٠٣١)، وابن حبان (٦٠٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٧٨١)، والترمذي (٢٠٧٢)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٥١).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، وأحمد في «المسند» (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢١١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦٧٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥٨١٢) من حديث ابن عباس.

مُسلِمة الفتح لما قالوا له: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[١]»، و«نهى عن الصلاة عند القبور»[٢] وإن لم يقصدها المصلِّي، ولعن من فعل ذلك[٣]، وأخبر أَنَّهم شِرَار الخلق عند الله[٤]، ونهى عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله[٥] حسمًا لمادة الشرك وقطعًا لوسائله وسدًّا لذرائعه وحماية للتوحيد وصيانة لجنابه فمن المستحيل شرعًا وفطرة وعقلاً أَن تأتي هذه الشريعة المطَّهرة الكاملة بإباحة دعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم في المهمَّات والملمَّات كقول النصراني: يا والدة المسيح اشفعي لنا إلى الإله أو يا عيسى أَعطني كذا، أو افعل بي كذا وكذلك قول القائل: يا علي أو يا حسين

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن حبان (١٨٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦)، وصححه ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢١٦)، وصححه الألباني في تخريج كتاب «السنة» لابن أبي عاصم (٧٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٣١٩) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة في المقبرة»، وأخرج أيضًا عن أنس رضي الله عنه (١٦٩٨) و (٢٣١٥)، والبزار في «مسنده» (٤٤١)، (٤٤٢) أن النبي ﷺ «نهى أن يُصلَّى بين القبور».

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

(٤) جاء من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياءٌ، ومن يتخذ القبور مساجد»** أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٥٤)، ومن حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة، وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله ﷺ: **«إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مساجد وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»** أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (٨٥٥) من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لعن الله من ذبح لغير الله»**.

أَو يا عباس أَو يا عبد القادر أَو يا عيدروس أَو يا بَدوي أَو فلان، وفلان أَعطني كذا وأَجرني من كذا أَو أَنا في حسبك أو نحو ذلك من الألفاظ الشركية التي تتضمن العدل بالله والتسوية به تعالىٰ وتقدس، فهذا لا تأتي به شريعة ولا رسالة بإباحته قط بل هو من شُعب الشرك الظاهرة الموجبة للخلود في النار ومقت العزيز الغفار، فقد نصَّ علىٰ ذلك مشايخ الإسلام حتىٰ ذكره ابن حجر في الإعلام[1] مقرراً له، وتأويل الجاهلين والميل إلىٰ شُبَه المبطلين هو الذي أوقع هؤلاء وأسلافهم الماضين من أهل الكتاب والأميين في الشرك بالله رب العالمين.

فبعضهم يستدل علىٰ شركه بالمعجزات والكرامات وبعضهم برؤيا المنامات وبعضهم بالقياس علىٰ السَّوالف والعادات وبعضهم بقول من يُحسن به الظن، وكلُّ هذه الأشياء ليست من الشرع في شيء، وعند رهبان النصارىٰ وعُبَّاد الصليب من هذا الضرب شيء كثير، وقد رأينا من شبه المشركين كثيراً ولم نَرَ مثل هذا الرجل في جهله ومجازفته وبَلادَته وكذبه ولولا ما نقصده من انتفاع من اطَّلع علىٰ هذه الرسالة لم نتعرض لردِّ شيءٍ من كلامه لظهور بطلانه، ويزيد هذا ظهوراً ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: **«من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته خدوشًا أو خموشًا في وجهه يوم القيامة»**[2]، وقوله: **«لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه**

(١) «الإعلام بقواطع الإسلام» لابن حجر الهيتمي المكي الشافعي (ص٧٥ و ص٩٦-٩٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٢٦)، والترمذي (٦٥٠)، والنسائي (٢٥٩١)، وابن ماجه (١٨٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١/ ٢٠٠).

مزعة لحم»[1]، وقوله: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى أو بموت عاجل أو غنىً عاجل»[2]، وقوله: «لا تحلُّ المسألة إلاَّ لثلاثة لذي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَو فقر مُدْقِعٍ أَو دَمٍ مُوجِعٍ»[3] هذا في سؤال الخلق فيما يقدرون عليه من الأسباب العادية الجزئية فكيف ترىٰ بما لا يقدر عليه إلاَّ الله من الأمور العامة الكُلِّية، وعلىٰ زعم هذا لا يكره شيء من ذلك ولا يمنع لمن قصد الصالحين ودعاهم.

* وقول هذا الرجل: واعتقاد التأثير لغيره. يريد به أَنَّ دعاءها ومسألتها بطريق السبب والشفاعة لا يضرّ، وقد تقدم ردُّ هذا بما يغني عن إعادته، ويزيده وضوحًا أَنَّ الله علّق الحكم بالكفر وإباحة الدم والمال بنفس الشرك وعبادة غير الله، قال تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٣]، والفتنة الشرك، وقال تعالىٰ: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨] ومن المشتهر عندهم أَنَّ تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلِّيَّة، وعلىٰ زعم هذا أَنَّ هولاء ليسوا بمشركين وإن صرفوا جميع أنواع العبادة لغير الله حتىٰ يعتقدوا التأثير، ولله درُّ القائل:

إذا رُزق الفتىٰ وَجهًا وَقَاحًا ... تَقلَّب في الأُمور كما يَشَاءُ

يا ربنا نسألك العافية في الدّين والدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦)، وأحمد (٣٦٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٤١)، وابن ماجه (٢١٩٨)، وأحمد (١١٦٩١)، (١١٨٣٠).

* وأما قوله: إذا قال العامي من المسلمين نفعني النبي ﷺ وأغاثني في حصول شيء . . . إلخ. فيقال يلزم على هذا أنّه لا يكفر أحد بلسانه، وأَنَّ من دعاميتًّا أو غائبًا أَنَّه يُحمل على كذا أو كذا، فهذا كذب على القرآن والسنة، واتفق العلماء على أَنَّ من تكلَّم بالكفر جادًّا أو هازلاً أَنَّه يكفر، ولا يستثنى إلاَّ المكره[1] وقد ذكر أرباب المذاهب في باب حكم المرتد أشياءً كثيرة لا يمكن جحدها ولا ينكرها إلاَّ مكابر معاند.

وإن كذَّب الله ورسوله أو استهزأ بآيات الله أو دعا غير الله أو استنصر به أَنَّه لا يكفر فيحمل على الإسناد المجازي، فما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله وعلى أولي العلم!

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٥].

قال شيخ الإسلام[2]: فقد أمره الله أن يقول: ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وقول من يقول إِنَّهم قد كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أوَّلاً بقلوبهم لا يصحُّ لأنّ الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فإنَّهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنّكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يُظهروا ذلك إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما نافقوا وحَذِروا أن تُنَزَّل عليهم سورة تبيّن

---

(١) قال ابن نجيم في «البحر الرائق» (٥/ ١٣٤): «من تكلّم بكلمة الكفر هازلاً، أو لاعبًا كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده».

(٢) ابن تيمية رحمه الله.

ما في قلوبهم من النفاق وتكلَّموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم، ولا يدل اللفظ على أنّهم ما زالوا منافقين ـ إلى أن قال ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٥] فاعترفوا واعتذروا، ولهذا قال: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٦٦]، فدلَّ على أنَّهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً بل ظنُّوا أن ذلك ليس بكفر فبيّن أنَّ الاستهزاء بآيات الله ورسوله كفر ﴿قد كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فدلّ على أنّه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرّم الذي عرفوا أنّه محرم، ولكن لم يظنوه كفراً كفروا به فإنَّهم لم يعتقدوا جوازه[1]، وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧٤]، وقال ﷺ لمن قال ما شاء الله وشئت: «أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده»[2]، وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[3]، وقال ﷺ: «لتتبعنَّ سُنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه»، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: «فمَن»[4]، وقد ذكر العلماء أنَّ السُّنَن الطريق، وأنَّ اتّباعهم في الأقوال والأفعال والاعتقاد، فيلزم على قول هؤلاء الضُّلال أنّ من تكلَّم بكلمة كفر أيِّ كلمة كانت أنَّها تُحمل على الإسناد المجازي، ولا يكفر أحدٌ بلسانه أصلاً، وهؤلاء يعتقدون الشرك ويقررونه بألسنتهم

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٢٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١٧٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن حبان (موارد/ ١١٧٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

ويحسبون أَنَّهم مهتدون، والواجب على الخلق اتّباع الدليل الواضح المحكم وترك الاستدلال بلفظ متشابه وهو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج الذين قال الله فيهم: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]، والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه ووجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلاَّ فيجب عليه اتّباع الراسخين في العلم في قوله: ﴿**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**»[١]، وأيضًا القول على الله بلا علم حرام. قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٣] وفي الحديث من قال في القرآن برأيه[٢] أو بما لا يعلم أو كذب على النبي ﷺ أو على أهل العلم لحقه الوعيد الشديد[٣]، نعوذ بالله من الخذلان.

* وأما ما ذكره الضَّال المفترى عن بلال بن الحارث لما ذبح شاة هزيلة عام الرمادة نادى وامحمداه[٤]، وأَنَّ شعارهم يوم قتال مسيلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥)، وأبو داود (٤٥٩٨).

(٢) أخرج أبو داود في «سننه» (٣٦٥٢) «**من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ**». ضعفه ابن معين انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٣٢).

(٣) جاء في إثم من كذب على النبي ﷺ «**من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار**» أخرجه البخاري (١٠٧) ومسلم (٣).

(٤) أورد هذه القصة ابن جرير في «تاريخه» (٤/ ٨٩-٩٩) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩١) من طريق سيف بن عمر قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٥٥): «قال أبو حاتم: متروك، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر»، وقال محمد بشير السهسواني في «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص٣٨٣) في الجواب عن هذه القصة: =

وامحمداه(١).

* فالجواب: أَنَّهما أَثران لا يثبتان، وإنَّما شعار الصحابة في قتالهم ﴿حمٓ﴾(٢)، ولهذا استدل بها من استدل بها من العلماء على أَنَّ ﴿حمٓ﴾ من أسماء الله تعالىٰ(٣)، وأيضًا من استدل بمثل هذا على دعاء الأموات والغائبين وندائهم وطلب النفع منهم ودفع الضر عنهم فلم يشم من الدِّين رائحة ولم يلح له منه بارقة ولا لائحة، وعلىٰ تقدير ثبوته لا يدل علىٰ ما ادَّعاه لأَنّه لم يقل يا محمد أَعطني وانصرني وارزقني، وهذه الحكاية وأشباهها تُذكر في التواريخ التي يشوبها الكذب ولا يذكرون لها إِسنادًا معروفًا، فلو ذُكر فيها

= «الكلام فيه من وجهين: الأول: إنَّ دعوىٰ صحة هذا الأثر مفتقرة إلىٰ إقامة الحجة عليها ودونها لا يلتفت إليها، والثاني: إنَّ هذا ليس نداء بل ندبة كما تقرر في مقره من أنَّ (وا) إنما تدخل علىٰ المندوب لا علىٰ المنادىٰ، فإن قلت: المندوب عند البعض داخل في المنادىٰ، فالجواب: أنَّ من يدخله في المنادىٰ فإنما يدخله في المنادىٰ الحكمي لا الحقيقي، فلم يكن مما نحن فيه في شيء».

(١) ذكره ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٢٩٣) من طريق سيف بن عمر وفيه رواة مجاهيل.

قال الشيخ عبدالله أبابطين في «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» (ص١٤٩) ت/ عبدالسلام العبد الكريم: «فهذه وأشباهها حجة هذا المبطل وشيعته، وهذه التواريخ وأشباهها فيها الصدق والكذب وأكثرها يُحكىٰ بغير إسناد ولو كان ما ذكر في هذه التواريخ ونحوها حديثًا عن النبي ﷺ بغير سند متصل صحيح لم يحكم به في فِلس والحكاية الأولىٰ أنَّ هذا كان شعارهم في الحرب لم يقل إنهم كانوا يستغيثون به في الحرب ولا أنهم يدعونه بل قال: هذا شعارهم في الحرب فلا شبهة لك فيه لأنهم كانوا يستعملون الشعار في الحرب باسم أو كلمة ليعرف بعضهم بعضًا كما رُوي أن شعارهم في بعض غزواتهم (حم لا ينصرون)، وفي بعضها (أَمت أمت)».

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٥)، وأبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢) عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**إن بيّتم الليلة فقولوا حم، لا ينصرون**»، وفي رواية: «**لا تنصرون**» قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١٢٧): «هذا إسناد صحيح».

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٧/ ١٢٧): «وقد قيل إنَّ ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء الله عز وجل».

على هذا الوجه لم يحكم به في فلس، والمحتج بما ذكر يحتج على جواز طلب كشف الضُّرِّ من النبي ﷺ وغيره، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلا رَشَداً﴾ [سورة الجن، الآية: ٢١] أي لا أقدر على كشف ضرٍّ نزل بكم ولا جلب خير إليكم إنَّما ذلك إلى الله وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٥] فكيف تعارض نصوص القرآن بمثل ذلك، ودعوى المحتج ذلك أَنَّ الشِّفاء يطلب من النبي ﷺ ومن غيره، وكان في رقيته ﷺ: «اشف أَنت الشَّافي لاشَافي إلاَّ أَنت»(١)، فالمحتج بهذه الحكايات على ما ادَّعاه معارض نصوص الكتاب والسنة مكذب لله ولرسوله فيما ذكرنا من الآيات والأَحاديث، وهو أيضاً سُوء ظنٍّ بالصحابة والتابعين حيث شُبِّهوا بالمشركين الذين يغلون في الأَنبياء والصالحين وينزلونهم فوق منزلتهم، وقد قال ﷺ: «ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»(٢)، وقال ﷺ: «إياكم والغلو فإِنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو»(٣)، وقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أَنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»(٤)، وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٥)، [وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٦)](٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٢)، وأبو داود (٣٨٩٠)، والترمذي (٩٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد (١٢٠٩٣) و (١٣٠٤١).
(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، والنسائي (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).
(٥، ٦) سبق تخريجه.
(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

* وأَمَّا قوله: لأَنَّ الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أَنَّ الخالق للعباد وأفعالهم هو الله إلىٰ آخر ما هذىٰ به.

* فالجواب أَن يقال: هذا جهل منه وضلال، وقوله: الاعتقاد الصحيح إن أراد أَنّه صحيح في نفسه فمسلَّمٌ، وإن أراد أَنَّه يُنجِّي أو يَسلَم معتقده من الشرك فهو إلحاد، ولا بد من توحيد العبادة الذي هو مدلول لا إله إلا الله وهو اعتقاد أَنّ العبادة كلها لله بأنواعها لا يشركه فيها أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٦]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١]، وقال ﷺ لمعاذ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»(١)، والأحاديث والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

وأَمَّا اعتقاد أَنَّ خالق العباد وأفعالهم هو الله فهذا اعتقاد قريش وغيرهم من المشركين لأنهم يفردون الله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير ومع ذلك يدعون معه آلهة أخرىٰ يصرفون لهم شيئًا من أنواع العبادة كاللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ وغيرهن ولما قال ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله»(٢) قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [سورة الصافات، الآية: ٣٦]، وقال الله عنهم:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) و (١٢٩)، ومسلم (٣٠) و (٥٠).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٢) و (٤/ ٤٣١)، وابن ماجه (٢٦٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢)، والحاكم (٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢١٤).

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِداً﴾ [سورة ص، الآية: ٥]، وترجم البخاري رحمه الله في الصحيح أن معنى لا إله إلا الله ترك الشرك والأوثان[١].

* * *

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص١٢٢) ولم أهتد إلى موضعه في «صحيح البخاري».

* وأَمَّا قوله : فحيث ما صدر من أحد تعظيمٌ حَكَموا على فاعله بالإشراك، وليس إلاَّ كما يقولون.

* فالجواب : أَنَّ هذا كذب على أهل السنة بل نقول من عظَّمه بما عظَّمه الله به، وهو ما نصَّ الله عليه في كتابه وذكره هو في حق نفسه ﷺ فهو حقٌّ لا مرية فيه، وأَمَّا كونه يُعظَّم فوق هذا من الإشراك به ويُدعى كما يُدعى الله ويستغاث به كما يستغاث بالله ويشفع من دون الله ويُطلب منه كل ما يطلب من الله فهذه دعوى باطلة لا تنفع قائلها في دعوى التعظيم بل هو تنقص له ﷺ ولا يرضى ذلك ولا يأمر به بل هو بخس في حقِّ الرب سبحانه وهضم له وتنقص تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله :

لله حقٌّ لا يكون لغيره	ولعبده حقٌّ هما حقَّان
لا تجعلوا الحقين حقًّا واحداً	من غير تمييز ولا فُرْقَان
فالحجُّ للرَّحمن دونَ رسوله	وكذا الصَّلاةُ وذبحُ ذي القُربان
وكذا السُّجود ونذرنا ويميننا	وكذا متابُ العبد من عِصْيَان
وكذا التوكل والإنابة والتُّقى	وكذا الرجا وخَشْيَةُ الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به	إياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره	دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذا التسبيح والتكبير[1] والتـ	ـهليل حقٌّ إلهنَا الدَّيَّان
لكنما التعزيرُ والتوقيرُ	حقٌّ للرسول بمقتضى القرآن

(١) جاء البيت في المخطوط : (وكذا التسبيح والتهليل والتكبير)، والمثبت من «النونية» لابن القيم.

والحبُّ والتصديق والإيمان لا تختص بل حقَّان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تُجملُوها يا أُولي العُدوان
حقُّ الإله عبادة بالأمر لا بهوى النَّفوس فَذاك للشَّيطان
من غيرِ إشراكٍ به شيئًا هما سَبَبا النَّجاة فحبّذا السَّببان
ورسوله فهو المطاع وقوله الـ مقبول إذ هو صاحب البُرهان(١)
فهو المطاع وأمره العالي على أمر الورى وأوامر السُّلطان
وهو المقدَّم في محبتنا على الأَهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتَّى على النَّفس الذي قد ضمَّها الجنَّبان(٢)

* وأَمَّا قوله : باتِّباع الجمهور والسَّواد الأعظم، وأَنَّهم أهل الحق، فهذا كذب صراح، وهذا الرجل لا يعرف حدود ما أَنزل الله علىٰ رسوله ﷺ، والرسول ﷺ قال: «**عليكم بالسَّواد الأَعظم**»(٣)، ولم يقل الأكثر وعلىٰ دعواه أَنَّ السَّواد الأَعظم الذي يجب اتباعهم فساق الناس وسوقتهم وجفاة الأَعراب الذين طبقوا البلاد، والله تعالىٰ يقول: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٦]، وقال: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن**

(١) جاء في «النونية» بعده : والأمر منه الحتم لا تخيير فـ ـيه عند عقل وذي إيمان
(٢) «الكافية الشافية» لابن القيم (ص١٧٧ وما بعدها) ط. دار المعرفة.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٤٠) من حديث أنس بن مالك، وفي سنده معان بن رفاعة وهو لين الحديث كثير الإرسال، وأيضًا في سنده أبو خلف الأعمىٰ وهو متروك كذبه يحيىٰ بن معين، انظر: «صيانة الإنسان» للسهسواني (ص ٣٠٦)، وأخرجه أحمد في «مسنده» من قول أبي أمامة الباهلي (١٨٤٧٣).

وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٠٢]، وقال في سورة الشعراء بعد تمام قصة كل نبي: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٨]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢١]، وقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٠]، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١١]، والرسول ﷺ إنَّما قال: «**عليكم بالسواد الأعظم**» لشرفهم وغربتهم، وفي حديث أَنس لما شكوا إليه ما لقوا من الحجاج قال: «**اصبروا حتى تلقوا ربَّكم فإنَّه لا يأتي زمان إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه سمعته من نبيكم ﷺ**»(١)، وفي الحديث الصحيح: أَنهلِكُ وفينا الصَّالحون، قال: «**نعم إذا كَثُرَ الخَبَث**»(٢)، وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**» قيل يا رسول الله: من هم قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»(٣)، ويكفي في إبطال هذه الدعوىٰ قوله ﷺ: «**ستفترق هذه الأُمَّة على ثلاث وسبعين فرقة كلُّها في النار إلاَّ واحدة**»(٤)، قالوا: منهم يارسول الله قال: «**مثل ما أنا عليه**

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).
(٣) الحديث دون ذكر زيادة [قيل يا رسول الله من هم...] أخرجه مسلم (١٤٥)، وأما الحديث المذكور أعلاه أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٠٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٥٩)، و«الأوسط» (٣٠٥٦) و (٤٩١٥)، والآجري في «الغرباء» (١)، واللالكائي في «الاعتقاد» (رقم/ ١٧٣)، والداني في «الفتن» (٢٨٨)، وابن وضاح في «البدع» (٦٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٦٧).
(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤٠) و أبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (٣٩٨٣)، وأحمد (١٦٣٢٩) وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤).

اليوم وأصحابي»[١]، والسواد الأعظم المأمور باتباعه عند فساد الزمان هي الجماعة كما قال بعض السلف[٢]: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه قبل أن تفسد.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لعمرو بن ميمون الأودي: الجماعة اتّباع الحقِّ وإن كنت وحدك[٣]، وسئل بعض العلماء[٤] عن السَّواد الأعظم قال: محمد بن أَسلم الطوسي[٥]، والآيات والأَحاديث والآثار في هذا كثيرة لا نطيل بذكرها، منها ما أخرجه الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«طوبى للغرباء»**، قلنا: وما الغرباء. قال: **«قوم صالحون قليل في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»**[٦]، وفي حديث آخر: **«وإنَّ من أشراط السَّاعة أن يكون المؤمن في القبيلة أَذلَّ من النَّقد»**[٧]. والنَّقد هي صغار الغنم[٨]، وفي رواية: «هم

---

(١) أخرج هذه الزيادة الترمذي (٢٦٤١) وقال: «هذا حديث غريب مفسّر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) القائل: نعيم بن حماد انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (٥/ ٣٨٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ رقم ١٦٠).

(٤) إسحاق بن راهويه.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٦) أخرجه أحمد (٦٣٦٢) و (٦٧٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٢٥)، وابن وضاح في «البدع» (ص٦٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦١٩).

(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٥٥٦)، و«الأوسط» (٤٨٥٨) قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٢٣): وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف، قال ابن حبان: سيف بن مسكين السلمي يأتي بالمقلوبات والأشياء الموضوعات. انظر: «المجروحين» لابن حبان (١/ ٤٤١)، وضعف الحديث ابن رجب في «كشف الكربة» (ص٣٢١).

(٨) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٠٤).

النُّزَّاع من القبائل»[١]، وقد مدح كثير من السلف أهل السُّنة ووصفهم بالغربة والقلة، فكان الحسن البصري يقول لأصحابه: يا أهل السنة ترفقوا فإنَّكم من أقل النَّاس[٢]، وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السُّنة، وأغرب منها من يعرفها[٣]، وعن سفيان قال: استوصوا بأهل السُّنة خيراً فإنَّهم غرباء.

ومراد هؤلاء بالسُّنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السَّالمة من الشُّبهات والشَّهوات، وهي التي ورد للمتمسك بها والعامل بها عند فساد الزمان أَجر خمسين ممن قبلهم[٤]، وأَنَّ المتمسك بدينه كالقابض على الجمر[٥] وماذكره من أحاديث لزوم الجماعة فهو من أعظَم ما لبُّس على الجهَّال الذين لا يعرفون الدِّين، وليس عندهم تحقيق ولا يقين، وإِنَّما هم كالأنعام بل هم أَضَلّ، وهذا الرجل يستدل بها على غير ما أَراد الله ورسوله منها كما تقدم ذكره، وفي الحديث: «**يأتي على النَّاس زمان لا يبقى من الإسلام إلاَّ اسمه ولا من القرآن إلاَّ رسمه**»[٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨)، والدارمي في «سننه» (٢٧٨٩)، والآجري في «الغرباء» (٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١١٨)، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه ابن كثير في «الفتن والملاحم» (١/ ١٧).

(٢) انظر: «كشف الكربة» (ص٣١٩).

(٣) انظر: «الشريعة» للآجري (رقم/ ٢٠٥٩)، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (رقم/ ٢٣)، و«الحلية» لأبي نعيم (٣/ ٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠١٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٥/ ٤٥٦) رقم الحديث (٧٩٨٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٤).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٥)، وقال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه. صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٧).

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٩٠٨) و (١٩٠٩) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٢٨).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «واعلم أَنَّ الإجماع والحجة والسَّواد الأعظم هو صاحب الحقِّ، وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض كلُّهم»(١)، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥].

وهذا الرجل وأمثاله جعل السَّواد الأعظم رعاع الناس وسَقَطَهم وأَوبَاشَهم، ومعلوم أَنَّ أكثر الناس في هذه الأوقات الذي ينكر البعث أكثر ممن يُقرُّ به، والذي يضيِّع الصلاة أكثر مِن الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر مِن الذي يؤديها، وهؤلاء عند هذا الرجل هم أهل الحق الذين يجب اتِّباعهم، ومن كان علىٰ مثل ما عليه الرسول وأصحابه سمّوهم شاذين نسأل الله السلامة والعافية.

* وأَمَّا ما ذكره من أبيات البوصيري(٢) واحتجاجه بها علىٰ دعواه العاطلة وأَنَّ من نفىٰ عن الرسول ﷺ دعوىٰ النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام جاز أن يَدَّعِي فيه ما شاء من دفع الضُّر وجلب النفع والاستغاثة به في المهمَّات والملمَّات، وأَنَّه يعلم ما يعلم الله ويقدر ما يقدر عليه الله، فهذا كما هو مخالف للقرآن والسُّنة فهو انسلاخ من الدّين كما هو صريح أَبياته الملعونة، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ الآية [سورة الأعراف، الآية: ١٨٨]، وقال جلَّ ذكره: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ الآية [سورة الجن، الآية: ٢١].

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (٥/ ٣٨٨) ت/ أبو عبيدة مشهور بن حسن.

(٢) محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري توفي سنة (٦٩٦هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

وقال ﷺ: «إيَّاكم والغلو فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو»[(١)]، وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنَّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[(٢)]، وقال ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)]، وقال ﷺ لعمِّه وابنته وعشيرته: «لا أُغني عنكم من الله شيئًا»[(٤)]، وقال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارىٰ قال: «فمن»[(٥)]، ومع هذا فالناظم يقول:

دع ما ادعته النصاري في نبيهم... (البيت)[(٦)].

يقول: لا تقل محمد ابن الله ولا ثالث ثلاثة، وأعطِّه ما شئت من خصائص الربوبية من العياذ واللياذ والإنقاذ من النار وطلب الشفاعة منه من غير الله وغير ذلك من خصائص الربوبية، والله سبحانه يقول: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٦]، وقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٤]، وقال: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر: الآية: ١٦]، وقال: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [سورة الانفطار، الآية: ١٩]، قال البيضاوي: نكَّر النَّفسين وشيئًا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٥٣) و (٣٥٢٧) و (٤٧٧١)، ومسلم (٣٥١١).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قوله: دع ما ادّعته النصارىٰ في نبيهم   واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

للإقناط الكلي يعني لا يملك أحد لأحد شيئًا من دون الله[١]، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [سورة الأنعام، الآية: ٩١]، وهذا يقول: (فإن من جُودك الدنيا وضرَّتها) المضاد لقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [سورة الليل، الآية: ١٣]، قال بعض العلماء لما سَمع [مثل][٢] هذه الأبيات: ما ندري أيُّ معنىً اختصَّ بالخالق تعالىٰ وتقدَّس، وماذا أبقىٰ هذا الشاعر الخبيث لرب العالمين من الأمر، فتأمَّل ما في أبياته من الشرك منها:

أَنَّه نفىٰ أن يكون له ملاذًا إذا حلَّت به الحوداث إلاَّ النبي ﷺ[٣] وليس ذلك إلاَّ لله وحده لا شريك له الذي ليس للعباد ملاذٌ إلاَّ هو.

الثاني: أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والإضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله وذلك هو الشرك في الإلهية.

الثالث: سؤاله أَن يشفع له لقوله: ولن يضيق رسول الله ﷺ جاهك بي... (البيت)[٤]، وهذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوه وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، وأيضًا فالشفاعة لا تكون إلاَّ بعد إذن الله فلا معنىً لطلبها من غيره، فإنَّ الله هو الذي يأذن للشافع أَن يشفع لا أَنَّ الشافع يشفع ابتداءاً.

الرابع: قوله: فإنَّ لي ذمة...[٥] إلخ. كذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» ومعه حاشية الشهاب (٢/ ٢٤٦) عند تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٨].

(٢) زيادة من (ب).

(٣) وهو قوله: يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

(٤) " " ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذ الكريم تحلّىٰ باسم منتقم

(٥) " " فإنّ لي ذمة منه بتسميتي محمـ ... ـداً وهو أَوفىٰ الخلق بالذمم

فليس بينه وبين من اسمه محمد ذمة إلاَّ بالطاعة، لا بمجرد الاشتراك في الاسم مع الشرك.

الخامس: قوله: إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي... (البيت)[١] تناقض عظيم وشرك ظاهر فإنَّه طلب أوّلاً أنَّه لا يضيق به جاهه، ثم طلب هنا أَن يأخذ بيده فضلاً وإحسانًا، وإلاّ فيا هلاكه.

فيقال: كيف طلبت منه أَوّلاً الشفاعة ثم طلبت هنا أن يتفضل عليك فإن كنت تقول إنَّ الشفاعة لا تكون إلاَّ بعد إذن الله، فكيف تدعو النبي ﷺ وترجوه وتسأله الشفاعة فهلاّ سألتها ممن له الشفاعة جميعًا الذي له مُلك السَّموات والأرض الذي لا تكون الشفاعة إِلاَّ من بعد إذنه، فهذا يبطل عليك طلب الشفاعة من غير الله.

وإن قُلتَ: ما أُريد إلاَّ جاهه وشفاعته قيل: فكيف سأَلته أن يتفضل عليك ويأخذ بيديك يوم الدين فهذا مضاد لقوله: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [سورة الانفطار، الآية: ٢٠] فكيف يجتمع في قلب عبد الإيمان بهذا وهذا!.

والله لن يجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان[٢]

وإن قلت: سأَلته أن يأخذ بيدي ويتفضل عليَّ بجاهه وشفاعته. قيل: عاد الأمر إلى طلب الشفاعة من غير الله، وهذا هو محض الشرك.

السادس: في هذه الأبيات من التبري من الخالق تعالى وتقدس والاعتماد على المخلوق في حوادث الدنيا والآخرة ما لا يخفى على مؤمن، فأين هذا

(١) إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القــدم.

(٢) انظر: «شرح قصيدة ابن القيم» لابن عيسى (١/ ٤٨٠).

من قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥]، وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٩]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٥٨]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ الآية [سورة الجن، الآية: ٢١]، فإن قيل: هو لم يسأله أن يتفضل عليه وإنَّما أَخبر أَنَّه إن لم يدخل في عموم شفاعته فيا هلاكه. قيل: المراد بذلك سؤاله وطلب الفضل منه كما ادّعاه أول مرة، وأخبر أَنَّه لا ملاذ له سواه، ثم صرَّح بسؤال الفضل والإحسان بصيغة الشَّرط والدعاء، والسؤال كما يكون بصيغة الطلب يكون بصيغة الشرط كما قال نوح عليه السلام: ﴿وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود، الآية: ٤٧](١)، وهؤلاء الضُّلال لو عرفوا حق الله علىٰ عباده، وما اختص به من ربوبيته وإلهيته، وعرفوا معنىٰ كلام الله وكلام رسوله لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جَهِل التوحيد، فإنَّ الجهل بما بعث الله به رسوله قد عمَّ كثيراً من هذه الأمة وظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم...»(٢) الحديث، وتأمل قصة أبي طالب عمِّ النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ويجمع القبائل علىٰ نصرته وحمايته من أعدائه، وقال في حقِّ النبي ﷺ:

لقد علموا أَنَّ ابننا لا مكذب... (البيتين)(٣) ولما لم يتبرأ من دين أبيه

---

(١) نقل المؤلف الكلام علىٰ أبيات البوصيري من «تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبدالله (ص٢٢٢ ـ ٢٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لقد علموا أَنَّ ابننا لا مكذب لدينا، ولا يُعنىٰ بقول الأباطل
حَدَبْت بنفسي دونه، وحميته ودافعت عنه بالذرىٰ والكلاكل

انظر: «مختصر سير الرسول ﷺ» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (ص٩٩) ط. الإفتاء (الثانية).

عبدالمطلب ومات على ذلك قال النبي ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ الآية**»(١) [سورة التوبة، الآية: ١١٣]، وقد وُجد الشرك في كلام من هو أفضل من البوصيري وأعلم كالصرصري(٢) ومحمد بن النعمان(٣) [الملقب بالمفيد](٤) وكالرازي(٥) وغيرهم لآجل عادات نشأوا عليها واستحسنوها ما أنزل الله بها من سلطان ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ**﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٣]، وهذا الرجل بُلي بشعره الجهَّال وأحبوه وأُعجبوا به زيَّن لهم الشيطان لما فيه من الشِّرك والكفر، وصار عندهم أَحسن من كلام العلماء وآثار السلف، ومنهم من يحفظه عن ظهر قلب، ومنهم من يشرح، ومنهم من يشطرّه أُشربوا في قلوبهم كما أشرب أهل العجل بالعجل زيَّن لهم الشيطان فصدَّهم عن السَّبيل، شعرا:

وصيرِّها الجهَّال للذِّكر ضـــــرة يُرىٰ درسها أَزكىٰ لديهم من الحمد

ومنهم من يناضل ويناظر عنها ويحمل كلامه على ما يحتمله لفظه لأجل إشراب قلوبهم بمحبتهم بها تقريراً للشرك الصُّراح والغلو، ومنهم من يروي

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠) و (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).

(٢) يحيىٰ بن يوسف بن يحيىٰ الأنصاري جمال الدين الصرصري من أهل صرصر علىٰ مقربة من بغداد (ت ٦٥٦هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٨/ ١٧٧).

(٣) محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيعي ويعرف بابن المعلم (ت٤١٣هـ) انظر: «السير» (١٧/ ٣٤٤).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الملقب بفخر الدين الرازي المفسِّر ولد سنة (٥٤٤هـ) وتوفي سنة (٦٠٦هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٣).

منامات كَذب أَنَّ قائلها أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ واستحسنها وكساه بردة، وهم يدَّعون أَنَّهم يعظِّمون الرسول وهم يبخسونه حقَّه، كيف يقرر الشرك ويسمعه، وقد أُنزل عليه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٨]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٣] ما هذه الجراءة والوقاحة والكذب على رسول الله ﷺ! يكتبونه ويُسطِّرونه في أوراقهم، وقد حدثني من لا أتَّهم أَنَّها مكتوبة في حيطان الحرم المدني على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وسورة الفتح تحتها في الحائط(١)، وهذا غلوٌّ زائد فيها وحطٌّ من رتبة كلام رب العالمين سبحان الله عما يصفون وتعالى عما يشركون.

---

(١) جاء في كتاب «مرآة الحرمين» (١/ ٤٥٦ - ٤٥٩) تأليف/ اللواء إبراهيم رفعت باشا ما نصه: «وأكثر جهات المسجد سور وآيات وقصائد في أغراض شتى نذكر لك منها ما ينفسح له المجال... ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مبينًا﴾ إلى آخر السورة... ومكتوب على عضادتي باب السلام من الخارج أربعة أسطر بالخط الثلث الجميل، في الأول منها قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾... وفي السطر الثاني:... وفي السطر الثالث:

رسول الله إني مستجير ... بجاهك والزمان له اعتداء
وجاهك يا رسول الله جاه ... رفيع ما لرفعته انتهاء
وظني فيك يا طه جميل ... ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشا أن أرى ضيما وذلاً ... ولي نسب بمدحك وانتماء
رجوتك يا ابن آمنة لأني ... محب والمحب له رجاء
عسى بك تنجلي عني كروبي ... وكم كرب له منك انجلاء

وثلاثة أبيات بعدها... ومكتوب في المسجد قصيدة البوصيري المشهورة بالبردة والتي مطلعها:

أَمن تذكر جيران بذي سَلَم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم»

تتـمـة

ونحن بحمد الله لا ننكر معجزات الأنبياء وهي أَنَّ الله يطلع بعض أنبيائه ورسله على ما شاء من جزئيات غيبه ليصدِّقهم من وَفَّقه الله كإخباره ﷺ ببعض ما يقع من الفتن(١) وبشارته بفتح كنوز كسرى وقيصر(٢) وكذلك تكثير القليل من الطعام(٣) إلى غير ذلك مما أخبر به ﷺ فوقع كما أخبر مع أن الغيب كلّه لله، قال الله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥]، وقال: ﴿وَعِنـدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ الآية [سورة الأنعام، الآية: ٩]، وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٦]، قال القرطبي: «قال العلماء: لما تمدَّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنّه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نُبوَّتِهم وليس المنجِّم والرَّمَّال ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصا وينظر في الكفِّ ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه فهو كافر بالله مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه» انتهى كلام القرطبي(٤)، وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن...**» وأخرج أيضًا (٩٧٨) من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض**».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٨)، وأحمد (١٦٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٦٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨).

[سورة هود، الآية: ١٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [سورة لقمان، الآية: ٣٤]
وكذلك لا ننكر كرامات الأولياء وهي فعل الله لا فِعلَ للوليِّ فيها ولا قدرةَ له عليها ولا تأثير لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره، ولا تدل على أنَّه أفضل ممن منعها، وليست من لوازم المنزلة وعلّو الدرجة. مشى أقوام فوق البحار ومات عَطَشًا من هو أفضل منهم وأقوى إيمانًا، وكثرت في القرن الثاني والثالث، وفي القرن الأَول من هو أفضل منهم وأجلُّ ممن وقعت له هذه الخوارق والعلم عند الله.

* واعلم أَنَّ دعاء الأموات والغائبين الذي يدَّعي هذا الرجل أَنَّه نداء لا دعاء، وأَنَّ نداءَ الأموات والغائبين يجوز سواء كان نبيًّا أو صالحًا أو غيرهما إذا لم يعتقد فيه التأثير أو الألوهية، فهذا هو عين الشرك بالمعبود وهو شرك قريش والمشركين من العرب وغيرهم لأنهم لم يعتقدوا فيمن عبدوه التأثير، وإنما دعوهم لطلب الشفاعة والزلفى من الله لا أَنَّهم مؤثرون بل أفردوا الله بالخلق والرزق [والإحياء][(١)] والإماتة والتدبير وغير ذلك [مما أخبر الله به عنهم][(٢)]، وقد سأل علماء مكة [المشرَّفة][(٣)] بعض مشايخنا[(٤)] عن هذه المسألة فقال السائل:

ما قولكم فيمن دعا نبيًّا أو وليًّا أو استغاث به في تفريج الكربات كقوله: يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا محجوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين؟

(١) زيادة من (ب).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر بن معمر التميمي (ت ١٢٢٥هـ) من تلاميذ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب انظر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (٢/ ١٢١) وهذا الجواب منه رحمه الله هو المعروف برسالة (الفواكه العذاب في الرّدّ على من لم يحكم السنة والكتاب).

الجواب : الحمد لله وأستعينه وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أَنَّ محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفىٰ آثارهم إلىٰ آخر الزمان أما بعد :

فإنَّ الله تعالىٰ قد أكمل لنا الدين، ورسوله قد بلّغ البلاغ المبين. قال تعالىٰ : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣]، وقال : ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [سورة النحل، الآية: ٨٩]، وقال : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس، الآية: ٥٧]، وقال : ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ**﴾ [سورة طه، الآية: ١٢٣]، قال ابن عباس : تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ في الآخرة، وقال تعالىٰ : ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٣٦]، وروىٰ مالك في الموطأ أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «**تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله**»(١)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك**»(٢)، وقال ﷺ : «**ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلاّ وقد حدثتكم**

(١) أخرجه مالك بلاغًا (رقم ١٧٠٨)، و الحاكم (١/ ٩٤)، واللالكائي في: «اعتقاد أهل السنة» (رقم ٩١).

(٢) أخرجه أبو داود (٦٤٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (المقدمة/ ٤٢)، والبغوي في«شرح السنة» (١٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

به ولا من شيء يقرب إلى النار إلاّ وقد حدثتكم»(١)، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كل بدعة ضلالة**»(٢) فمن أصغىٰ إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدىٰ والشِّفاء، وقد ذمَّ الله من أعرض عن كتابه، ودعا عند التنازع إلىٰ غيره، وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾ [النساء: الآية: ٦١] إذا عرفت هذا فنقول:

الذي شرعه رسول الله، ﷺ عند زيارة القبور إنَّما هو تذكر الآخرة والإحسان إلىٰ الميت بالدعاء له والترحم والاستغفار له وسؤال العافية كما في صحيح مسلم عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ: إذا خرج إلىٰ المقابر يقول: «**السَّلام عليكم يا أهل الديار**»، وفي لفظ: «**السَّلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣) والاستثناء للتبرك أو راجع للّحوق لا للموت أو إلىٰ البقعة، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا صلَّيتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٧) من حديث أبي ذر بلفظ: قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً قال: فقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم» صححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧)، وابن حبان (٧٥٥ / موارد) وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٧٣٢).

أنه قال: «**ما من ميت يصلِّي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلاَّ شفِّعوا فيه**»[١] رواه مسلم، فإذا كنَّا علىٰ جنازته ندعو له لا ندعوه ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولىٰ وأحرىٰ فبدَّل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم، بدَّلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانًا إلىٰ الميت، سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخُّ العبادة بنصِّ رسول الله ﷺ، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة**»[٢] رواه الترمذي، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّعاء هو العبادة**» ثم قرأ رسول الله، ﷺ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [سورة غافر: الآية: ٦٠] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[٣]، ومن المحال أَن يكون دعاء الأموات مشروعًا ويُصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنصِّ رسول الله ﷺ ثم يُوفَّق له الخُلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فهذه سنة رسول الله ﷺ وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل نُقل عن أحد منهم نقل صحيح أو حسن أَنَّهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلاً عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٤٧)، والترمذي (١٠٢٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

ومعلوم أَنَّ مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، وقد كان عندهم من قبور أَصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار ما لا يحصى كثرة فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استغاث به ولا انتصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ من بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها، فإن كان عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذي صحّ خلاف ما ذهبتم إليه، ولما قحط الناس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال: اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا فيسقون، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(١)، ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه، ومعاوية استسقى بيزيد بن الأسود لما قحطوا وقال: قم يا يزيد فادعُ فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا(٢).

ونحن نعلم بالضرورة أَنَّ النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أَنَّه نهى عن كلِّ هذه الأمور، وأَنَّ ذلك من الشِّرك [الأكبر](٣) الذي حرّم الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٨]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) زيادة من(ب).

يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)﴾ [سورة الاحقاف، الآية: ٥، ٦]، وقال: ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ الآية [سورة الرعد، الآية: ١٤]، وقال: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٣، ١٤].

وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٦، ٥٧].

قال مجاهد: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ هو عيسى وعزير والملائكة[(١)]، وكذا قال إبراهيم النخعي قال: كان ابن عباس يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ هو عزير والمسيح والشمس والقمر[(٢)]. وعن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: عيسى وأُمُّه وعزير[(٣)]، وعن عبدالله بن مسعود قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٨/ ٩٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٧).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) انظر: المصدرين السابقين.

الجنِّيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري ذكره في كتاب التفسير(١)، وهذه الأقوال كلها في معنى الآية حقٌّ، فإنَّ الآية تعمُّ كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أَو من الجنِّ أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكلُّ من دعا ميتًا أو غائبًا من الأَنبياء والصالحين، فقد تناولته هذه الآية ومعلوم أَن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أَنهم وسائط بينهم وبين الله، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم، وبيَّن أَنَّهم لا يملكون كشف الضُّر عن الداعين ولا تحويله ولا يرفعونه بالكلِّية ولا يحوِّلونه من موضع إلى موضع كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلا تَحْوِيلاً﴾ فذكر نكرة تعمّ أنواع التحويل، فكلُّ من دعا ميتًا أَو غائبًا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن أو دعا الإنس فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر ولا تحويله.

وهؤلاء المشركون اليوم منهم مَنْ إذا نزلت به شدة لا يدعو إلاّ شيخه ولا يذكر إلاّ اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فإذا تعس أَحدهم قال: يا ابن عباس أَو يا محجوب، ومنهم من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في نفسه أَعظم من الخالق، فإذا كان دعاء الأموات يتضمن الاستهزاء بالدِّين وهذه المحادة لله ولكتابه، فأيُّ الفريقين أَحق بالاستهزاء والمحادة لله! مَنْ كان يدعو الموتى

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٤)، ومسلم (٣٠٣٠).

ويستغيث بهم أو من كان لا يدعو إلاَّ الله وحده لا شريك له كما أمرت به الرسل ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به، ونحن بحمد الله من أعظم الناس إيجابًا لرعاية الرسول تصديقًا له فيما أخبر وطاعته فيما أمر واعتناءً بمعرفة ما بُعث به واتباع ذلك دون ما خالفه عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٥]، ومعَنا ولله الحمد أصلان عظيمان، **أحدهما**: أَن لا نعبد إلاَّ الله فلا ندعو إلاَّ هو ولا نذبح النُّسك إلاَّ لوجهه ولا نرجو إلاَّ هو ولا نتوكل إلاَّ عليه. **الأصل الثاني**: أَن لا نعبده إلاَّ بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة.. وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله.. فإنَّ شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا بحبٍّ ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة، وشهادة أَنَّ محمداً رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أَخبر به وطاعته واتباعه في كلِّ ما أَمر فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه، وروى البخاري من حديث أبي هريرة قال: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(١).

(١) سبق تخريجه.

إذا عرفت هذا فالذي نعتقده وندين الله به أَنَّ من دعا نبيًّا أو وليًّا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أَنَّ هذا من أعظم الشِّرك الذي كفَّر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، فَمَن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس أو المحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنىٰ أَنَّ الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أَنَّ الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أَدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلىٰ الملك، فمن جعلهم وسائط علىٰ هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال، وقد نصَّ العلماء رحمهم الله علىٰ ذلك وحكوا عليه الإجماع، قال في الإقناع وشرحه: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعًا لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ »(١) انتهىٰ، وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله: «لما صعبت التكاليف علىٰ الجهال(٢) عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كُفَّار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهىٰ عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها(٣).

(١) انظر: «كشاف القناع عن متن الإقناع» للبهوتي (٦/ ٢١٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) سقط من (أ) و (ب) كلمة: (والطغام) وهي موجودة في نص كلام ابن عقيل في الإغاثة.

(٣) أي رفع القبور عن الأرض وهو من القَبَل ما ارتفع من جبل أو رمل أو علوٌّ من الأرض انظر: «لسان العرب» (١١/ ٥٤٢).

وتخليقها[١] وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأَخذ تربتها متبرِّكًا بها وإفاضة الطيب على القبور، وشدّ الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداءً بمن عبد اللات والعزى»[٢]، وقال أيضًا: «لقد عظَّم الله الحيوان لا سيما ابن آدم حيث أَباحه الشرك عند الإكراه فمن قدَّم حرمة نفسك على حرمته حتى أباح لك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظِّم شعائره وتوقر أوامره وزواجره، وعَصَمَ عرضك بإيجاب الحدِّ بقذفك، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقته[٣]، وأَسقط شطر الصلاة [في السفر][٤] لأَجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام [غسل][٥] الرجل إشفاقًا عليك من مشقة الخلع واللبس، وأَباح لك الميتة سدًّا لرمقك وحفظًا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحدٍّ عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك وأنزل الكتب إليك، أيحسن بك مع هذا الإكرام أن تُرى على ما نهاك عنه منهمكًا، وعمَّا أمرك [تاركًا، وعلى ما زجرك][٦] مرتكبًا، وعن داعيه معرضًا ولداعي عدوِّكْ فيه مطيعًا[٧]، (يعظمك)[٨] وهو

(١) أي تجصيصها وجعلها ملساء مصمتة على سبيل تزيينها، والخلوق نوع من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ويغلب عليه الحمرة والصفرة. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٧١) و «لسان العرب» (١٠/ ٩١).
(٢) انظر: «إغاثة اللهفان» لابن القيم (ص١٩٥).
(٣) في (ب): (يد في سرقة).
(٤) زيادة من المصدر ساقطة من (أ) و (ب).
(٥) ساقطة من (أ)، وفي (ب): (مسح) والمثبت من المصدر.
(٦) زيادة من المصدر.
(٧) في (ب): (ولداعي عدوه مطيعًا).
(٨) ساقطة من (ب).

هو وتهمل أمره وأَنتَ أَنتَ هو حَطَّ رتب عباده لأجلك وأهبط إلىٰ الأرض من [امتنع عن](١) سجدة يسجدها لأبيك، هل عاديت خادمًا طالت خدمته لك لترك صلاة؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي؟ فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالي، فلا أَقل أن تقتضي نفسك إلىٰ الحقِّ سبحانه اقتضاء المكافي المساوي، ما أَوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان! أيكون بحضرة الحقِّ وملائكة السماء سجود له تترامىٰ به الأحوال والجهالات إلىٰ أن يُوجد ساجدًا لصورة في حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو (القمر أو لصورة ثور خار أو لطائر صفر)(٢)، ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والحور بعد الكور! لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل علىٰ جميع الحيوانات أن لا يُرىٰ إلاَّ عابدا في دار التكليف أو مجاورًا(٣) الله في دار الجزاء والتشويف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها»(٤) انتهىٰ كلامه(٥).

قال الإمام البكري الشافعي(٦) رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالىٰ:

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) ساقطة من (ب) وفي (أ): (لطائر صغير) والمثبت من المصدر.

(٣) في (أ): (مجازًا)، والمثبت من (ب).

(٤) انظر: «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» لمحمد بن عبدالوهاب ضمن «عقيدة الموحدين» (ص٦٤ ـ ٦٥) جمع الشيخ عبدالله بن سعدي الغامدي العبدلي.

(٥) في (ب): (انتهىٰ كلام ابن عقيل رحمه الله).

(٦) قال الدكتور الوليد آل فريان في تحقيقه لكتاب «الانتصار» لعبد الله أبابطين (ص٣١): «لم أَجد في «طبقات المفسرين» أحداً بهذا اللقب وهو شافعي المذهب ـ غير اثنين هما: محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، من كبار المتكلمين وأئمة الأشاعرة المخالفين لطريقة السلف (ت٦٠٦)، وعلي ابن يعقوب بن جبريل، وهو ممن أَنكر علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية لما دخل مصر وقام عليه وآذاه ت (٧٢٤) ينظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (١/ ٤٤٠، ٢/ ٢١٥).

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣]: «وكانت الكفار إذا سئلوا من خلق السموات والأرض قالوا الله، وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله، وهذا كفر منهم»(١) انتهى كلامه، فتأمَّل ما ذكره صاحب الإقناع وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾: «أي إنما يحملهم على عبادتهم أنَّهم عمدوا إلى أصنام اتَّخذوها على صور الملائكة المقرَّبين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادة الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأمَّا المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجُّوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك إلاَّ شريكًا هو لك تملكه وما ملك»(٢)، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردِّها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد الله وحده لا شريك له، وأنَّ هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية [سورة النحل، الآية: ٣٦]،

(١) انظر: «الفواكه العذاب» لابن معمر (ص٤٣ـ٤٤) ت/ الشيخ عبدالسلام برجس العبد الكريم.
(٢) أخرجه مسلم عن ابن عباس (١١٨٥).

وقـال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]، فأخبر أنَّ الملائكة التي في السموات من المقرَّبين وغيرهم كلُّهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلاّ بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٤] تعالى الله عن ذلك»[١] انتهى كلامه. قال الإمام البكري رحمه الله عند قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١]: «فإن قلت إذا أقروا كيف عبدوا الأصنام؟ قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة، ففرقة قالت ليس لنا أهليَّة عبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقرِّبنا إليه زلفى، وفرقة قالت الملائكة ذو وجاهة ومنزلة عند الله فاتخذنا لنا أصنامًا على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى، وفرقة قالت جعلنا [الأصنام][٢] لنا قبلة في العبادة كما أنَّ الكعبة قبلة في عبادته، وفرقة اعتقدت أنَّ لكل صنم شيطانًا موكلاً بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله»[٣] انتهى كلامه. فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأنَّ المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلاّ التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله، وتأمَّل ماذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد- ثم قال- وهذه الشبهة التي اعتقدها

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٥) ت/ سامي السلامة.

(٢) في (أ): (الملائكة) والمثبت من (ب).

(٣) انظر: «الفواكه العذاب» لابن معمر (ص٤٦) ت/ الشيخ عبدالسلام بن برجس العبد الكريم.

المشركون في قديم الزمان وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردِّها والنهي عنها، وتأَمَّل ما ذكره البكري رحمه الله عند آية الزمر: أَنَّ الكفار ما أرادوا إلاّ الشفاعة ثم صرَّح بأَنَّ هذا كفر، فمن تأَمَّل ما ذكره تبيَّن له أَنَّ الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلاّ التقرب إلىٰ الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنَّهم لم يعتقدوا فيها أَنَّها تخلق الخلائق [وتنزل][1] المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرِّين أَنَّ الفاعل لذلك هو الله وحده، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ . . . إلىٰ قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ...﴾ الآيتين [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤، ٨٥، ٨٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها أَنَّ المشركين مقرّون أن الله هو الخالق الرازق، وإنما يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إلهًا آخر، وأخبر أَنَّ الشفاعة كلّها له، وأَنَّه لايشفع أحد عنده إلاّ بإذنه وأَنَّه لا يأذن إلاّ لمن رضي قوله وعمله، وأَنَّه لا يرضىٰ إلاّ التوحيد فالشفاعة مقيدة بهذه القيود. قال تعالىٰ: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣)

(١) في (أ): (وترزق) والمثبت من (ب).

قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٣، ٤٤]، وقال: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٤]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ الآية [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٣]، وفي الصحيحين(١) من غيروجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أَنَّه قال: «آتي تحت العرش فأَخرُّ لله ساجدًا ويفتح عليَّ بمحامد لا أُحصيها الآن فيدعني ما شاء أَن يدعني، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك وقل تُسمع وسل تُعط واشفع تُشفَّع، قال: فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة ثم أعود»، فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء، قال الإمام البكري الشافعي عند قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥١]: «نفى الشفاعة وإن كانت واقعة في الآخرة لأنها من حيث أنها لا تقع إلاَّ بإذنه كأنّها غير موجودة من غيره وهو كذلك، لكن جعل ذلك لتبيين الرتب، وجملة النهي حال من ضمير ﴿يُحْشَرُوا﴾ وهي محل الخوف، والمراد به المؤمنون العاصون»(٢) انتهى. وقال عند قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ الآية [سورة طه، الآية: ١٠٩]:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦).

(٢) انظر: «الفواكه العذاب» لابن معمر (ص٤٨) ت/ الشيخ عبدالسلام برجس العبد الكريم.

«دلَّ على أَنَّ الشفاعة تكون للمؤمنين فقط»(١) قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٦]: «يقرر تعالى أنّه لا إله إلاّ هو؛ لأنّهم معترفون أنّه هو الذي خلق السموات والأَرض وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أَولياء يعبدونهم، وإنَّما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أَنَّها مخلوقة عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلاّ شريكًا هو لك تملكه وما ملك. وكما أخبر عنهم في قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى..﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣]، فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلاّ بإذنه ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢٣] ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم»(٢) انتهى، والمقصود بيان شرك الذين قاتلهم رسول الله، ﷺ وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلاّ التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله(٣)، وبيان أَنَّ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد أَنَّه من الشرك الذي كفّر الله به المشركين وبيان أَنَّ الشفاعة كلّها لله ليس لأَحد معه من الأَمر شيء، وأَنّه لا شفاعة إلاّ بعد إذن الله وأَنَّه تعالى لا يأذن إلاّ لمن يرضى(٤) قوله وعمله، وأنَّه لا يرضى إلاّ التوحيد كما تقدمت

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، والمؤلف قد نقل بتصرف.

(٣) في (ب): (وطلب الشفاعة عند الله).

(٤) في (ب): (رضي).

الأدلة الدالة على ذلك ومعلوم أنَّ أعلى الخلق وأفضلهم [وأكرمهم][(١)] عند الله هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئًا إلاَّ بعد إذنه لهم وأمرهم، فيأذن الله سبحانه لمن يشاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنَّما هي له تعالى، والذي يشفع[(٢)] عنده إنَّما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أَثبتها المشركون ومن وافقهم وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٣]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص فروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٣)].

وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آتٍ من عند ربي فخيرني أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا**»[(٤)] رواه الترمذي، وابن ماجه. فأسعد الناس

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): (شفع).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) و (٦٥٧٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٤١)، وابن ماجه (٤٣١٧)، وأحمد (٦/ ٢٨)، واللفظ للترمذي.

بشفاعة رسول الله ﷺ أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٩]، فأخبر سبحانه أنَّه لا تحصل شفاعة تنفع إلاَّ بعد رضاه قولَ المشفوع له وإذنه للشافع، وأَمَّا المشرك فإنه لا يرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علَّقها بأمرين: رضاه عن المشفوع، وإذنه للشافع. فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فإنَّه هو الذي أَذِن وهو الذي قَبِل والذي رَضِي عن المشفوع له والذي وَفَّقه لفعل ما يستحق من الشفاعة، فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه، ومتخذ الربِّ إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ [سورة الزمر: الآية: ٤٣] إلى قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر: الآية: ٤٤]، وقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، فبيّن أَنَّ المتخذين شفعاء مشركون، وأَنَّ الشفاعة لا تحصل باتخاذهم، وإنَّما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه.

والمقصود أَنَّ الكتاب والسنة دلاَّ على[2] من جعل الملائكة والأنبياء أَو ابن

(١) في (ب): (حلال الدم والمال).

(٢) هكذا جاء في النسختين ولعل العبارة تكون «دلاَّ على أَنَّ من».

عباس أو أبا طالب أو المحجوب وسائط بينه وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أَنَّه كافر مشرك حلال المال والدم[١] وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلّى وصام وزعم أَنَّه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أَنَّهم يحسنون صنعا، ومن تَأمَّل القرآن العزيز وجده مصرِّحًا بأَنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كلهم مقِرُّون بأَنَّ الله هو الخالق الرازق وأَنَّ السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه، كما حكاه تعالىٰ عنهم في سورة يونس[١] وسورة المؤمنين[٢] وسورة العنكبوت[٣] وغيرها من السور، ووجده مصرِّحًا بأَنَّ المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالىٰ ذلك في سورة سبحان[٤] والمائدة[٥] وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أَنَّهم يدعون الملائكة كما ذكر ذلك في سورة الفرقان[٦] وسبأ[٧] والنجم[٨]، ووجده مصرِّحًا أيضًا

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٣١].

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧)﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٨٦، ٨٧].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦١].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ..﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

(٥) قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٦].

(٦) قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣].

(٧) قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٠].

(٨) قال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية: ٢٦].

بأَنَّ المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلاَّ الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى، كما ذكر عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور، فإذا تبيّن لكم أَنَّ القرآن قد صرَّح بهذه للمسائل الثلاث أَعني اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأَنّهم يدعون الصالحين وأنّهم ما أرادوا منهم إلاَّ الشفاعة تبيّن لكم أَنَّ هذا الذي يُفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد أَنّه الشرك الأكبر الذي كفّر الله به المشركين، فإنَّ هؤلاء المشركين شَبَّهوا الخالق بالمخلوق، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرَّدِّ على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع فإِنَّ الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أَحد وجوه ثلاثة:

إمَّا لإخبارهم من أحوال الناس ما لا يعرفونه، ومن قال إنَّ الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأَولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السِّرَّ وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلاَّ بأعوان يعاونونه فلا بدَّ له من أعوانٍ وأنصارٍ لذلّه وعجزه، والله سبحانه ليس له وليٌّ ولا ظهيرٌ من الذُّل، وكلُّ ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم، والله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا إله [إلاَّ هو][1] وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، فهو لا

(١) زيادة من (ب).

يشفع أحد عنده إلاَّ بإذنه لا مَلَك مقرب ولا نبيٌّ مرسل فضلاً عن غيرهما، فإنَّ من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أَثَّر فيه بشفاعته حتىٰ يفعل ما يطلب منه، والله لا شريك له بوجه من الوجوه.

الثالث: أَنْ لا يكون الملك مريد النفعَ رعيتَه والإحسان إليهم إلاَّ بمحرِّك يحرِّكه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظِّمه أو من يدل عليه بحيث يخافه ويرجوه تحرّكت إرادة الملك وهمته في قضاء الحوائج لرعيته والله تعالىٰ ربُّ كل شيء ومليكه وهو أَرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكُلُّ الأسباب إنَّما تكون بمشيئته فما شآء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه إذا أَجرىٰ نفع العباد بعضهم علىٰ يد بعض فجعل هذا يحسن إلىٰ هذا ويدعو له ويشفع له فهو الذي خلق ذلك كلَّه، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه علىٰ خلاف مراده أو يعلم ما لم يكن يعلمه، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلاَّ بإذنه كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك فإنَّ الشافع عندهم يكون شريكًا لهم في الملك، وقد يكون مظاهراً (لهم)(١) معاونًا لهم علىٰ ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، والملك يقبل شفاعتهم تارةً لحاجة إليهم وتارةً لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتىٰ إنّه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك، فإنَّه محتاج إلىٰ الزوجة والولد، ولو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرَّر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه، فإنَّه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ويقبل شفاعة أخيه مخافة أَن يسعىٰ في ضرره، وشفاعة العباد

(١) ساقطة من (ب).

بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا أحد يقبل شفاعة أحد إلاَّ لرغبة أو رهبة، والله لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج إلىٰ أحد بل هو الغنيُّ سبحانه عمَّا سواه وكل ما سواه فقير إليه، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه من الشفاعة عند المخلوق. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾ الآية [سورة الإسراء، الآية: ٥٦]، فأخبر أنَّما يُدعىٰ من دونه لا يملك كشف الضُّر ولا تحويله، وأنَّهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقرَّبون إليه، فقد نفىٰ سبحانه ما أَثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله، وأَمّا من أَراد الله فتنته فلا حيلة فيه و ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(١). [سورة الكهف، الآية: ١٧] انتهىٰ.

وأما كلام العلماء فأكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر، وذكر رحمه الله منه طرفًا، ونحن نذكر مما لم يذكره مما يدحض الخصم إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام قدس الله روحه ونور ضريحه، وقد سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما: لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلاَّ بذلك، **الجواب بقوله:**

إنَّ إرادته لا بد من واسطة تبلِّغنا أمر الله ونهيه فهذا حقٌّ، فإنَّ الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهىٰ عنه إلاَّ بالرسل الذين أرسلهم إلىٰ عباده، وهذا مما أَجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ

(١) إلىٰ هنا انتهىٰ النقل من رسالة (الفواكه العذاب في الرّدّ علىٰ من لم يحكم السُّنّة والكتاب) للشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالىٰ.

فإنَّهم يثبتون الوسائط بين الله وبين خلقه وهم الرسل الذين بلَّغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٥]، ومن أَنكر هذه الوسائط فهو كافر بإِجماع أهل الملل وإن أراد بالواسطة أَنَّه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أَن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار - إلىٰ أن قال - فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسدّ الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»[1]، وقال أيضًا: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كَفَر إجماعًا» نقله غير واحد مقرِّرين له منهم ابن مفلح في الفروع، وصاحب الإنصاف وصاحب الغاية وصاحب الإقناع وشارحه وغيرهم[2]، ونقله صاحب القواطع[3] في كتابه عن صاحب الفروع وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين، وقد نصَّ العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد علىٰ أَنَّ من أشرك بالله

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٢١، ١٢٣، ١٢٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٢٤)، و«الفروع» لابن مفلح (٦/ ١٦٥)، و«الإنصاف» للمرداوي (١٠/ ٣٢٧)، و«كشاف القناع» للبهوتي (٦/ ٢١٤)، و«غاية المنتهىٰ»، لمرعي المقدسي (٣/ ٣٣٧).

(٣) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) انظر: «الإعلام بقواطع الإسلام» (ص٩٣ - ٩٤) ط. دار الكتب العلمية.

فهو كافر أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أَنَّ دعاء الله عبادة فيكون صرفه لغير الله شركًا، قال ابن القيم في الكلام علىٰ حديث وفد الطائف لما أسلموا(١)، ولما تكلَّم علىٰ المسائل قال: «ومنها أَنَّه لايجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة علىٰ هدمها وإبطالها يومًا واحدًا فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة الْبتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت علىٰ القبور، التي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله والأَحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها علىٰ وجه الأَرض مع القدرة علىٰ إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ بل أعظم شركًا عندها وبها والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتّبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر وذراعًا بذراع وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس لغلبة الجهل، وخَفِي العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفًا والسُّنة بدعة والبدعة سُّنة، ونشأَ في ذلك الصغير، وهَرِم عليه الكبير وطُمِست الأَعلام واشتدت غربة الإسلام وقلَّ العلماء وغلب السُّفهاء وتفاقم الأَمر، واشتدَّ البأَس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»(٢) انتهىٰ كلامه. وقال أيضًا في الكلام علىٰ هذه القصة

(١) انظر في وفود ثقيف أهل الطائف: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٧٤٥ وما بعدها).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٢٦) ط. الرسالة.

لما ذكر أَنَّ النبي ﷺ أخذ مال اللات وصرفه في المصالح[(١)] ومنها: «جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلىٰ هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين فيجب عليه أَن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها ويصرفها علىٰ الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين فإنَّ الوقف لا يصحُّ إلاّ في قربة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصح علىٰ مشهد ولا علىٰ قبر يُسرَج عليه ويُعظَّم ويُنذر له ويُعبد من دون الله، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الدِّين ومن اتّبع سبيلهم»[(٢)] انتهىٰ كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من أهل العلم وهو أيضًا من أهل الشام كيف صرّح أنّه ظهر في زمانه ممن يدّعي الإسلام [في الشام][(٣)] وغيره عبادة القبور والأشجار والمشاهد والأحجار التي هي أَعظم من عبادة اللات والعزىٰ أو مثله، وأَنَّ ذلك ظهر ظهوراً عظيمًا حتىٰ غلب الشرك علىٰ أكثر النفوس، وحتىٰ صار الإسلام غريبًا بل اشتدت غربته.

وقال أيضًا في شرح المنازل: «ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوائج من الموتىٰ والاستغاثة بهم والتوجّه إليهم، وهذا أصل شرك العَالَم فإِنّ الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فضلاً لمن استغاث به أو سأَله أَن يشفع له إلىٰ الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإِنَّ الله سبحانه لا

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، وفي نص المؤلف زيادات ليست في المطبوع.

(٣) زيادة من (ب).

يشفع (أحد عنده)[١] إلاَّ بإذنه، والله سبحانه لم يجعل سؤَال غيره سببًا لإِذنه وإنَّما السبب لإِذنه، كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإِذن والميت محتاج إلىٰ من يدعو له كما أمرنا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم وندعو لهم ونسأل لهم العافية والمغفرة[٢] فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أَوثانًا تُعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلىٰ التنقيص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك، وأَولياؤه الموحِّدين له بذمِّهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقيص إذ ظنوا أَنّهم راضون منهم بهذا وأَنّهم أمروهم به، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! ولله درُّ خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٥، ٣٦]، وما نجا من شَرَك هذا الشرك إلاَّ من جرَّد توحيد الله وعادىٰ المشركين في الله وتقرّب بمقتهم إلىٰ الله»[٣]، وقال الشيخ قاسم[٤] في شرح (درر البحار): «النَّذر الذي يقع من أكثر العوّام وهو أن يأتي إلىٰ قبر بعض الصلحاء قائلاً ياسيدي فلان إن رُدّ غائبي أو عُوفِي مريضي أو قُضيتْ حاجتي فلك كذا

(١) ساقطة من (ب).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣١٢).

(٤) هو قاسم بن قطْلوبغا بن عبدالله المصري ويعرف بقاسم الحنفي، فقيه الأحناف ولد سنة (٨٠٢هـ) له عدة مصنفات توفي بالقاهرة سنة (٨٧٩هـ) انظر: «شذرات الذهب» (٧/ ٣٢٦).

وكـذا، باطل إجماعًا لوجوه منهـا :

أَنَّ النـذر للمخلوق لا يجوز، ومنها ظَنٌّ أَنَّ الميت يتصرَّف في الأَمر، واعتقاد هذا كفر - إلىٰ أَن قال -: إذا عُرف هذا فما يُؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، وينقل إلىٰ ضريح الأَولياء فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتُلي الناس لا سيما مولد أَحمد البدوي».

فتأمل قول صاحب النهر[١] مع أَنَّه مصري ومقر العلماء كيف شاع بين أَهل مصر ما لا قدرة للعلماء علىٰ دفعه فتأَمل قوله: «من أكثر العوام» أتظنّ أَنَّ الزمان صلح بعده، وقال الرافعي[٢] في (شرح المنهاج)[٣]: وأَمَّا النذر للمشاهد التي علىٰ قبر وليٍّ أو شيخٍ أو اسم من حلَّها من الأَولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين، فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب والواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دُفِن بها أو نُسِبَت إليه أو بنيت علىٰ اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد فإنَّ معتقدهم أَنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع به البلاء ويُستجلب به النعماء ويُستشفىٰ بالنذر لها من الأَدواء حتىٰ إِنهم ينذرون

---

(١) لعل المؤلف يقصد كلام الشيخ قاسم بن قطلوبغا ـ رحمه الله ـ، وللفقيه الحنفي عمر بن إبراهيم سراج الدين بن نجيم المصري (ت: ١٠٠٥هـ) كتاب بعنوان «النهر الفائق في الفقه الحنفي» انظر: «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٩).

(٢) هو الإمام أبو القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الحسين بن الحسن الشافعي الرافعي منسوب إلىٰ رافعان بلدة من بلاد قزوين توفي سنة (٦٢٣هـ)، انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ص١٠٨، ١٠٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٣) الرافعي هو مؤلف كتاب (المحرر) في فقه الشافعية واختصره النووي في كتاب أسماه (منهاج الطالبين وعمدة المفتين) تعددت الشروح والحواشي علىٰ كتاب النووي هذا، انظر: «جامع الشروح والحواشي» (٣/ ١٩٠٩) لعبد الله الحبشي، ولم أهتد إلىٰ موضع هذا الكلام فيما بين يدي من المصادر.

لبعض الأحجار لما قيل له أَنَّه استند إليه عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السُّرُج والشموع والزيت، ويقولون القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك أَنَّه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازات، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل [مطلقًا][1] بل هو شِرْكٌ، من ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأَنبياء والأَولياء، فإنَّ الناذر لا يقصد بذلك إلاّ الإيقاد على القبر تبركًا وتعظيمًا ظانًّا أَنَّ ذلك قربة وهو من وسائل الشرك، والإيقاد المذكور محرَّمٌ سواء انتَفع به هناك مُنتفِعٌ أَم لا! وقال الطرطوشي[2] في كتاب (الحوادث والبدع): روى الترمذي وغيره عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله**: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لنا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلهة﴾ لتركبنّ سنن من كان قبلكم**»[3]، فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهي ذات أَنواط فاقطعوها، وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[4]، ومعنى هذا أَنَّ الله لما

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي أبو بكر الطرطوشي من فقهاء المالكية من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس (ت ٥٢٠هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٣٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

جاء بالإسلام، فكان الرجل إذا أَسلم في قبيلته غريبًا مستخفيًا بإسلامه قد جفاه العشيرة فهو فيهم ذليل خائف ثم يعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلَّة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أَهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم. وروى البخاري عن أمِّ الدرداء عن أبي الدرداء أَنّه قال: ما أعرف فيهم من أمر محمد إلاَّ أنهم يُصلُّون جميعًا[١]. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره، وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت ما يبكيك، فقال: ما أَعرف فيهم شيئًا مما أَدركت إلاَّ هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعت[٢][٣]. انتهى كلام الطرطوشي. قال شيخنا[٤] في الكلام على حديث أبي واقد بعد كلام سبق: وفي هذه الجملة من الفوائد أنّ ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعَّوام والطغام، ولا يُستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأُمَّة كما دلت عليه الأخبار الصحيحة، فإذا كان بعض الصحابة ظنُّوا ذلك حسنًا وطلبوه من النبي ﷺ حتى بَيَّن لهم أَنَّ ذلك

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦١٣)، وابن وضاح في «البدع» (رقم/ ١٩٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٩)، وأحمد في المسند (١١٥٣٩)، والترمذي(٢٣٧١)، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر: كتاب «الحوادث والبدع» للطرطوشي (ص١٠٤ ـ ١١٢) ت/ عبدالمجيد تركي ط. دار الغرب الإسلامي.

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥هـ) انظر في ترجمته: «مشاهير علماء نجد»، لعبد الرحمن بن عبداللطيف (ص٧٨)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (١/ ١٨٠).

كقول بني إسرائيل: ﴿اجْعَل لنَا إلهًا﴾ فكيف لا يخفىٰ علىٰ من هو دونهم في العلم والفضل بأضعافٍ مضاعفة مع غلبة الجهل وبُعد العهد بآثار النبوة! بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية، فأكثروا فعله واتخذوه قربة. وفيها: أنَّ الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل ولم يلتفت إلىٰ كونهم سَمَّوها ذاتَ أنواط، فالمشركُ وإن سمَّىٰ شركَه ما سمَّاه كمن يُسمي دعاء الأموات والذبح لهم والنذر لهم ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فإنَّ ذلك هو الشرك وإن سمَّاه ما سمَّاه، وقِس علىٰ ذلك[1] انتهىٰ. . وقال الإمام محدث الشام أبو شامة[2] في كتاب (الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث): ومن هذا القسم ما قد عمَّ البلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليقُ الحيطان والعمد وسرْجُ مواضع في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنَّه رأىٰ في منامه أحدًا ممن شُهر بالصلاح فيفعلون ذلك، ويظنّون أنَّهم يتقربون إلىٰ الله ثم يجاوزون ذلك إلىٰ أَن تعظَّم وقعُ تلك الأماكن في قلوبهم ويرجون الشِّفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي ما بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمَّىٰ خارج باب توما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة خارج باب النَّصر سهَّل الله قطعها فما أَشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث - إلىٰ أن قال -: أَسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أَضلَّه فاتخذ إلهه هواه - ثم قال -: ولقد أَعجبني ما صنع الشيخ أبو إسحاق

---

(١) انظر: «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن (١/ ٢٦٣) ت/ الوليد آل فريان.

(٢) الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ) انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ٣١٨).

الجبنياني⁽¹⁾ أحد الصالحين ببلاد أَفريقية في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب أَنَّه كان إلى جنبه عين تُسمَّى العافية كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذَّر عليها نكاح أَو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية فتعرف بها، قال أبو عبدالله: فأَنا في السَّحر ذات ليلة إذ سمعت أَذان أبي إسحاق نحوها فوجدته قد هدمها، وأَذَّنَ الصُّبحَ عليها ثم قال: اللهم إِني هدمتها لك فلا ترفع لها رأَسًا فما رُفِع لها رأَس إِلى الآن[2]. قال ابن القيم: فما أَسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون إنَّ هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر أَي العبادة من دون الله فإنَّ النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له[3]. وقال الإمام ابن النحاس الشافعي[4] في كتاب (الكبائر): ومنها إيقادهم السُّرج عند الأَشجار والأَحجار والعيون والآبار ويقولون إِنها تقبل النذر، وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو أَثرها، فإنَّ أكثر الجهَّال يعتقد أَنَّها تنفع وتضر وتجلب وتدفع وتشفي المريض وتردَّ

(١) هو إبراهيم بن أحمد بن علي الجبنياني البكري المالكي (ت ٣٩٦هـ)، انظر: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض (٤/ ٤٩٧) ت/ أحمد بكر محمود.

(٢) انظر: كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة المقدسي (ص١٠١ - ص١٠٥) ت/ مشهور حسن سلمان. ط. دار الراية.

(٣) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ٢٣٠).

(٤) أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المعروف بابن النحاس من فقهاء الشافعية ولد في دمشق توفي سنة (٨١٤هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٨٧).

الغائب إذا نذر لها، وهذا شرك ومحادة لله ولرسوله ﷺ[١]. وفي (الفتاوىٰ البزازية من كتب الحنفية)[٢]: من قال إن أَرواح المشايخ حاضرة تعلم كَفَر، فإن أراد بالعلماء علماء الشريعة فهو حكاية للإجماع علىٰ معتقد ذلك وإن أراد علماء الحنفية خاصة فهو حكاية لاتفاقهم علىٰ كُفْر معتقد ذلك، وعلىٰ التقديرين تأَمَّله تجده صريحًا في كُفْر من دعىٰ أهل القبور لأَنّه ما دعاهم حتىٰ اعتقد أَنَّهم يعلمون ذلك ويقدرون علىٰ إِجابة سؤاله وقضاء مأموله. انتهىٰ.. وقال الإمام الحافظ ابن عبدالهادي في ردِّه علىٰ السبكي: وقوله: أي السبكي: «إنَّ المبالغة في تعظيمه أَي تعظيم الرسول ﷺ واجبة» أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيمًا حتىٰ الحجِّ إلىٰ قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أَنَّه يعلم الغيب وأنه يُعطِي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضُّر والنفع، وأَنّه يقضي حوائج السائلين ويُفرِّج كربات المكروبين وأَنّه يشفع فيمن يشاء ويُدخل الجنة من يشاء، فدعوىٰ المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين[٣]. انتهىٰ.. قال شيخ الإسلام في (الرسالة السنية): فإذا كان علىٰ عهد النبي ﷺ من انتسب إلىٰ الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أَنّ المنتسب إلىٰ الإسلام والسُّنة في هذه الأَزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام، وذلك بأَسباب منها:

(١) انظر: «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» (ص٤١٩) ط. نشر مكتبة عباد الرحمن (مصر).

(٢) للشيخ محمد بن محمد شهاب المعروف بابن البزاز الكردري الحنفي (ت ٨٢٧هـ). وانظر: «الفتاوىٰ البزازية في الفتاوىٰ الهندية» (٣/ ٣٢٦) هامش المجلد السادس. ط. دار الفكر.

(٣) انظر: «الصارم المنكي» (ص٣٤٦).

الغلو الذي ذمَّه الله في كتابه حيث قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية [سورة النساء، الآية: ١٧١]. . وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي ابن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبيٍّ أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أَو أَغثني أو ارزقني أو اجبرني أَو أَنا في حسبك ونحو هذه الأَقوال، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلاّ قتل، فإنَّ الله أَرسل الرُّسل وأَنزل الكتب ليُعبد وحده ولا يدعىٰ معه إلهًا آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أُخرىٰ مثل المسيح والملائكة والأَصنام لم يكونوا يعتقدون أَنَّها تخلق الخلائق أوتُنزِّل المطر أوتنبت النبات، وإنَّما كانوا يعبدونهم أَو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقرِّبونا إلىٰ الله زلفىٰ هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل تنهىٰ أَن يدعىٰ أَحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة(١). انتهىٰ. . وقد نصَّ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المقريزي في كتاب [التوحيد](٢) له علىٰ أَنَّ دعاء غير الله شرك(٣). قال النووي في شرح مسلم علىٰ قول النبي ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(٤): المراد أن يذبح بغير اسم الله كمن يذبح للصنم أو للصليب أَو لموسىٰ أَو لعيسىٰ أَو للكعبة ونحو ذلك، وكلُّ هذا حرام ولا تحلُّ هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا أَو نصرانيًا

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٢٨-٢٢٩).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) انظر: «كتاب تجريد التوحيد المفيد» للحافظ أحمد المقريزي (ص٦٢) ت/ علي العُمران.

(٤) سبق تخريجه.

- إلى أن قال -: وإن قصد [مع ذلك][(١)] تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان كفرًا، فإن كان مسلمًا صار بالذبح مرتدًا[(٢)]. انتهى. . وقال محمد بن إسماعيل[(٣)] في كتابه (تطهير الاعتقاد): والمشاهد التي صارت ذريعة إلى الشرك والإلحاد غالب من يعمرها الملوك والسلاطين إمَّا على قريب لهم أَو على من يُحسنون الظنَّ فيه من فاضل أو عالم، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأَموات من دون توسُّل به ولا هَتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون له حتى ينقرض مَن يعرفه أَو أَكثرهم، فيأتي من بعدهم من يرى قبرًا قد شُيِّد عليه البناء وسُرجت عليه الشموع وفرش بالفرش الفاخرة، فيعتقد أَنَّ ذلك لنفع أو دفع ضرٍّ، ويأتيه [السَّدنة][(٤)] يكذبون على الميت بأَنّه فعل وفعل، أَنزل بفلان الضُّر وبفلان النفع حتى يغرسوا في جِبلَّته كلَّ باطل، والأَمر ما ثبت في الأحاديث النبوية من لعن من أَسرج القبور[(٥)]، وكتب عليها[(٦)] وبنى عليها، وأحاديث

(١) جاء في (أ): (بذلك) والمثبت من (ب) ومن نص النووي في شرح مسلم.

(٢) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/ ١٢٢) ط. دار الخير.

(٣) هو الإمام المحدث محمد بن إسماعيل بن صالح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني المعروف كأسلافه بالأمير ولد سنة (١٠٩٩هـ) وتوفي سنة (١١٨٢هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٨).

(٤) ساقطة من (أ)، والمثبت من (ب).

(٥) حديث ابن عباس: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرج**» أخرجه أحمد (١/ ٢٢٩)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٢).
قال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر» (١/ ١٣٤):
«صرّح أصحابنا بحرمة السراج على القبر، وإن قلَّ حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف وإضاعة المال والتشبه بالمجوس، فلا يبعد في هذا أن يكون كبيرة».

(٦) من حديث جابر بن عبدالله قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يقعد عليه**».
أخرجه مسلم (٩٧٠)، وأحمد (٣/ ٢٩٥)، وأبو داود (٣٢٢٥)، والترمذي (١٠٥٢)، والنسائي (٢٠٢٦، ٢٠٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٠). =

ذلك واسعة معروفة، فإنَّ ذلك في نفسه مَنْهيٌّ عنه ثم هو ذريعة إلىٰ مفسدة عظيمة[١]. انتهىٰ.. قال أبو محمد المقدسي: لو أُبيح اتخاذ السُّرج عليها لم يُلعن من فعله، ولأنَّ فيه تضييعًا للمال في غير فائدة وإفراط في تعظيم القبور أَشبه تعظيم الأصنام[٢]. قال الشيخ[٣] رحمه الله: أَمَّا بناء المساجد علىٰ القبور فقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعة منهم للأَحاديث الصحيحة وصرَّح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه - ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلىٰ أن قال -: وهذه المساجد المبنية علىٰ قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو بغيره، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين، وقال ابن القيم: يجب هدم القباب التي علىٰ القبور لأنها أُسست علىٰ معصية الرسول ﷺ[٤]، قال القاضي ابن كج[٥]: ولا يجوز أن تجصص القبور ولا يبنىٰ عليها قباب ولا غير قباب والوصية بها باطلة. قال الأذرعي[٦]: وأَمَّا بطلان

= وعند الترمذي (٣/ ٣٦٨) وأبي داود (٣/ ٥٥٣) والنسائي (٤/ ٨٦) زاد سليمان بن موسىٰ: «أو يكتب عليه» وعند ابن ماجه (١/ ٢٨٦) قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء».

(١) «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (ص٨٣) اعتناء الشيخ العلامة عبدالمحسن العباد.

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ٣٨٨).

(٣) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٤) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١٠).

(٥) أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الدينوري الكجي من أئمة الشافعية توفي سنة (٤٠٥هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٨/ ٢١٤).

(٦) أبو الوليد أحمد بن عبدالله الأذرعي من فقهاء الشافعية توفي سنة (٧٨١هـ) انظر: «طبقات الشافعية» (ص٩١).

الوصية ببناء القباب وغيرها من الأَبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة فلا ريب في تحريمه. قال ابن رشد: كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة، وهو من بدع أهل الطَّول أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسُّمعة، وهومما لا خلاف فيه[1][2]. وقال ابن القيم رحمه الله: وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ويلقي إليهم أَنَّ البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأَنبياء والصالحين، وأَنَّ الدعاء عندها مستجاب ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء به والإقسام على الله به، فإِنَّ شأَن الله أَعظم من أن يُقسم عليه أَو يسأل بأَحدٍ من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنًا تُعلَّق عليه القناديل [والسُّتور][3]، ويطاف به ويستلم ويُقبَّل ويحج ويذبح عنده، فإذا تقرَّر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه[عيدًا][4] ومنسكًا، ورأوا أَنَّ ذلك أَنفع لهم في دنياهم وأُخراهم، وكل هذا مما عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام أَنَّه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد، وأَن لايعبد إلاّ الله، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أَنَّ من نهى عن ذلك فقد تنقصَّ أهل الرُّتب العالية وحَطَّهم من منزلتهم وزعم أَنَّه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ

---

(١) جاء في (ب): (لا اختلاف فيه).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٣٣ـ ٣٣٤).

(٣) ساقطة من (أ) والمثبت من (ب).

(٤) ساقطة من (أ) والمثبت من (ب).

اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٥]، وسرىٰ ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدِّين حتىٰ عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونَفَّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظَّموهم وزعموا أَنَّهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك، وما كانوا أولياؤه إن أولياؤه إلاَّ المتقون(١).

انتهىٰ كلامه رحمه الله. . وههنا فوائد ذكرها شيخ الإسلام إمام الدعوة النجدية رحمه الله ينبغي ذكرها هنا، فقال: ومنها: أَنَّ من فَهِم هذا الباب(٢) وما بعده تبيَّن له غربة الإسلام ورأىٰ من قدرة الله وتقليبه القلوب العَجَب، ومنها: أَنَّ أَول شرك حدث في الأرض سببه محبة الصالحين أي المحبة التي غلوا فيها، ومنها: أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء، ومنها: معرفة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تنكرها، وأَنَّ سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل بأمرين، الأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أُناس من أهل العلم والدِّين لأَشياء أَرادوا بها خيراً فَظَن مَن بعدهم أَنَّهم أَرادوا غيره، ومنها: معرفة جِبلَّة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد، أي في الغالب، ومنها: أَنَّ فيها شاهداً لِما نُقِل عن بعض السلف أَنَّ البدعة سبب الكفر، وأَنها أَحبُّ إلىٰ إبليس من المعصية لأَنَّ المعصية قد يتاب منها، والبدعة لايتاب منها، ومنها: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قصد الفاعل، ومنها:

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (ص٢١٢ ـ ٢١٣).

(٢) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، انظر: «كتاب التوحيد» الباب الثامن عشر.

القاعدة الكلِّية وهي النهي عن الغلوِّ ومعرفة ما يؤول إليه، أي من الشرك، ومنها: النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها، ومعرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها، ومنها: وهي أَعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم لمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح هو أفضل العبادات واعتقدوا أَنَّ نهي الله ورسول الله ﷺ هو الكفر المبيح للدم والمال، يعني لو نهاهم ناهٍ بنهي الله لهم عن الشرك لَكفَّروه واستحلُّوا دمه وماله بذلك، ومنها: التصريح بأنّهم لم يريدوا إلاَّ الشفاعة، ومنها: ظنّهم أَنَّ الذين صَوَّروا الصُّور أرادوا ذلك، ومنها: التصريح بأَنَّها لم تُعبد حتى نُسي العلم ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده، ومنها: أَنَّ سبب فقد العلم موت العلماء[1]. انتهى كلامه رحمه الله، قال ابن القيم: وبالجملة فَمَن له معرفة بالشرك وأَسبابه وذرائعه وفَهِم عن رسول الله مقَاصده جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أَنَّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغة «**لا تفعلوا**» وصيغة «**إنِّي أنهاكم عن ذلك**» ليس لأَجل النجاسة بل لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه وارتكب ما عنه نهاه، ولم يخش ربه ومولاه وقلَّ نصيبه أَو عُدِم من لا إله إلاَّ الله، فإِنَّ هذا وأمثاله صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يُعبد سواه، فأبى المشركون إلاَّ معصية لأمره وإرتكابًا لنهيه وغرَّهم الشيطان أَنَّ هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد

(١) انظر: مسائل باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين في «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعه «إبطال التنديد» لحمد بن عتيق (ص١١٦ ـ ١١٨).

قلت: وفي هذا النقل زيادات لم تذكر في المطبوع.

تعظيماً وأَشد فيها غلوًّا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد.

ولعمر الله من هذا الباب دخل علىٰ عُبَّاد يغوث ويعوق ونسرا، ودخل علىٰ عُبَّاد الأَصنام منذ كانوا إلىٰ يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدىٰ الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أَنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم(١).

قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق: وهذه العلة التي لأجلها نهىٰ الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور هي التي أَوقعت كثيراً من الأُمم إمَّا في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أَنَّها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإِنَّ الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أَقرب إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أَهل الشرك يتضرَّعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا في وقت السَّحر، ومنهم من يسجد لها ويرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حَسَم النبي ﷺ مادتها حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا(٢)، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد في صلاته بركة المساجد، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها(٣) لأَنها أَوقات يَقصِد المشركون فيها الصلاة للشمس، فنهىٰ أمته عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يقصد ما قصده المشركون سدًّا للذريعة، وأَمَّا إذا

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ١٨٩).

(٢) سبق تخريج حديث النهي عن الصلاة في المقبرة.

(٣) أخرجه مسلم (٨٣٢).

قصد الرجل الصلاة عند القبور تبرّكًا [بالصلاة][(١)] في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دينٍ لم يأذن به الله، فإنَّ المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أَنَّ الصلاة عند القبور منهيٌّ عنها، وأَنَّه لعن من اتخذها مساجد، فمن أَعظم المحدثات وأَسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه[(٢)]. انتهى..

وقد ذكر بعض العلماء على قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»: أَي لا تعطلُّوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحري العبادة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأَشباههم[(٣)]، ثم إنَّ في تعظيم القبور واتخاذها أَعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلاَّ الله ما يغضب لأَجله كُلُّ مَن في قلبه وقارٌ لله وغَيرةٌ على التوحيد وتهجينٌ وتقبيحٌ للشرك، ولكن ما لجرحٍ بميِّتٍ إِيلامُ[(٤)] فمن مفاسد اتخاذها أَعيادًا: الصلاة إليها، والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تُرابها، وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أَنواع الطلبات التي كان عُبَّاد الأوثان يسألونها

---

(١) ساقطة من (أ) والمثبت من (ب)

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (ص١٨٥).

(٣) ذكر ذلك ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: المرجع السابق.

(٤) هذا عجز بيت للمتنبي انظر: «شرح ديوان المتنبي» للمعري (٢/ ٢٢٢) وصدره: من يهن يسهل الهوان عليه و...

أَوثانهم، فلو رأيت غلاة المتخذين [بها][(١)] عيدًا، وقد نزلوا عن الأَكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه، وقَبَّلُوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أَصواتهم بالضجيج وتباكوا حتىٰ يُسمع لهم نشيج، ورأوا أنهم قد أَربوا في الرِّبح علىٰ الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يُبدئ ولا يُعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد حتىٰ إذا دنوا منها صَلَّوا عند القبر ركعتين، ورأوا أَنَّهم قد أَحرزوا من الأَجر أجر من صلَّىٰ إلىٰ القبلتين، فتراهم حول القبر رُكَّعًا وسجَّدًا يبتغون فضلاً من الميِّت ورضوانًا، وقد مَلَئوا أَكفهم خيبةً وخسرانًا، فلغير الله بل للشياطين مايراق هناك من العبرات ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات ويُسأل من تفريج الكربات وإغناء ذوي الفاقات ومعافاة ذوي العاهات والبليَّات ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدىٰ للعالمين، ثم أَخذوا في التقبيل و الاستلام، أَرأيت الحجر الأسود وما يَفعله به وفد البيت الحرام ثم عَفَّروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أَنها لم تعفَّر كذلك بين يديه في السجود ثم أَكملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد يعطىٰ لذلك الوثن القرابين، وكانت [صلاتهم][(٢)] ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يُهنِّئ بعضهم بعضًا ويقول: أَجزل الله لنا ولكم أَجرًا وافرًا وحظًا، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلِّفين أَن يبيع أَحدهم ثواب حجة القبر بحجِّ المتخلِّف إلىٰ البيت الحرام

(١) في «إغاثة اللهفان»: لها.

(٢) زيادة من (ب).

فيقول: لا، ولو بحجِّك كل عام، هذا ولم نتجاوز ما حكينا عنهم ولا استقصينا بدعهم وضلالهم إذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وهذا مبدأ[١] عبادة الأَصنام في قوم نوح.

وكل من شَمَّ أَدنىٰ رائحة من العلم والفقه يعلم أَنَّ من أَهم الأُمور سدُّ الذريعة إلىٰ هذا المحظور، وأَنَّ صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهىٰ عنه وما يؤول إليه، وأَحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأَنَّ الخير والهدىٰ في اتّباعه وطاعته، والشرَّ والضَّلال في معصيته ومخالفته[٢]. انتهىٰ كلامه رحمه الله..

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي[٣] في كتابه الذي أَلّفه في الردِّ علىٰ من ادّعىٰ أَنَّ للأَولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات علىٰ سبيل الكرامة:

هذا وإنّه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أَنّ للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم[٤]، ويستغاث بهم في الشدائد والبليَّات، وبهم تكشف المهمَّات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلِّين علىٰ أَنّ ذلك منهم كرامات، وقالوا منهم أَبدال[٥] ونقباء وأَوتاد ونجباء

(١) في «إغاثة اللهفان»: وهذا كان مبدأ.

(٢) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

(٣) صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي واعظ فقيه، محدث (ت ١١٢٠هـ)، وعنوان كتابه هو (سيف الله علىٰ من كذب علىٰ أولياء الله) انظر: «معجم المؤلفين» (٥/ ٢٤) ط. دار إحياء التراث العربي.

(٤) في (ب): (الممات).

(٥) جاء في الأبدال أحاديث لا تصح بل أكثرها باطل انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (رقم/ ٨)، و«مجموع فتاوىٰ» ابن تيمية (١/ ٤٣٣).

وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس(١) وعليه المدار بلا التباس وجوّزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الأجور، قال: هذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السّرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومضادة الكتاب العزيز المصدَّق ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥] - إلىٰ أن قال -: الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم - إلىٰ أن قال -: فأمَّا قولهم إنَّ للأولياء تصرّفًا في حياتهم وبعد مماتهم فيردُّه قوله تعالىٰ: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٠]، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٢٠]، ونحوها من الآيات الدالة علىٰ أنَّه المتفرِّد بالخلق والتدبير والتصرِّف والتقدير ولا شيء لغيره في شيءٍ ما بوجه من الوجوه فالكلُّ تحت ملكه وقهره تصرّفًا وملكًا وإحياءً وإماتةً وخلقًا، وتمدَّح الربُّ بإنفراده في ملكه بآيات من كتابه كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣]، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٣]، وذكر آيات في هذا المعنىٰ، ثم قال: فقوله في الآيات كلِّها ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي من غيره فإنّه عام يدخل فيه من اعتقدته

---

(١) هذه من المصطلحات التي عند الصوفية والتي هي مدار معتقدهم في الأولياء فلهم في ذلك تقسيمات منها الغوث: وهو الوليّ المتحكِّم في كل شيء في العالم.
الأقطاب الأربعة: وهم الذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث.
الأبدال السبعة: الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث.
النجباء: كل واحد منهم يتصرف في ناحية تتحكم في مصائر الخلق.
انظر: «الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة» (ص٣٧) لعبد الرحمن عبدالخالق.

من وليٍّ وشيطان تستمده فإنّ من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمدُّ غيره- إلى أن قال-: فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرّف، إنَّ هذا من السَّفاهة لقول وخيم وشرك عظيم- إلى أن قال-: وأمَّا القول بالتصرّف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرّف في الحياة، قال جلَّ ذكره: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠]، : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٢]: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]، : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٣٨]، وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله ...**»[1] الحديث، فجميع ذلك وما هو نحوه دَالٌّ على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأنَّ أرواحهم ممسكة، وأنَّ أعمالهم منقطعة على زيادة ونقصان، فدلّ ذلك على أن ليس للميت تصرّفٌ في ذاته فضلاً عن غيره بحركة، وأنَّ روحه محبوسة مرهونة [بعملها من خيرٍ وشرٍّ][2]، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره! فالله سبحانه يخبر أنَّ الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إنَّ الأرواح مطلقة متصرفة ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٠]، قال: وأمَّا اعتقادهم أنَّ هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة، لأنَّ الكرامة شيءٌ من عند الله يُكرم بها أولياءه لا عن قصد لهم فيه ولا تحدِّي ولا قدرة

---

(١) «إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٢) زيادة من (ب).

ولا علم، كما في قصة مريم ابنت عمران وأسيد بن حضير[١] وأبي مسلم (الخولاني)[٢]، قال: وأمَّا قولهم ويستغاث بهم في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمضادته قوله جلَّ ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [سورة النمل، آية: ٦٢]، : ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٣]، وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فإنَّه جلَّ ذكره قرر أنَّه الكاشف للضُّر لا غيره، وأنَّه المتعيِّن لكشف الشدائد والكُرَب، وأنَّه المتفرد بإجابة المضطرِّين، وأنَّه المستغاث لذلك كله، وأنَّه القادر على دفع الضُّر، والقادر على إيصال الخير، فهو المنفرد بذلك، فإذا تعينَّ هو جلَّ ذكره خرج غيرهُ من مَلَك ونبيٍّ ووليٍّ، قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسِّية في قتال أو إدراك عدوٍّ أو سَبُعٍ ونحوهم كقولهم يا لزيد، يا لقوم، يا للمسلمين، كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأَسباب الظاهرة بالفعل، وأمَّا الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف [الغرق][٣] والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يطلب فيها غيره، قال: وأمَّا كونهم معتقدين التأثير فيهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصُّوفية الجهَّال وينادونهم ويستنجدون بهم، فهذا من المنكرات، - إلى أن

---

(١) في قصة دنو الملائكة لسماع صوته بالقرآن رضي الله عنه، انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (١/ ١٠٩) ط. دار المعرفة.

(٢) ساقطة من (ب)، وأبو مسلم الخولاني اليمني من سادات التابعين وله كرامات أجَّج له الأسود العنسي ناراً عظيمة وألقاه فيها فلم تضرّه فنفاه لئلا يرتاب الناس فيه. انظر: «شذرات الذهب» (١/ ٧٠).

(٣) في (أ): (والخوف والغرق) والمثبت من (ب) ومن كتاب «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

قال -: فمن اعتقد أَنَّ لغير الله من نبيٍّ أَو وليٍّ أَو روحٍ أَو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً، فقد وقع في جهل خطير، فهو علىٰ شفا حفرة من السَّعير، وأَمّا كونهم مستدلين علىٰ أَنّ ذلك منهم كرامات فحاشا لله أَن تكون أولياء الله بهذه المثابة، فهذا ظنُّ أهل الأوثان كذا أخبر الرحمن ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣]، ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ﴾ [سورة يس، الآية: ٢٣]، فإنَّ ذِكْرَ ما ليس من شأنه النَّفع ولا دفع الضر من نبيٍّ ووليٍّ وغيره علىٰ وجه الإمداد منه إشراكٌ مع الله إذ لا قادر علىٰ الدَّفع غيره ولا خير إلاّ خيره، قال: وأَمّا ما قالوه من أَنّ منهم أَبدالاً ونقباء وأوتاداً ونجباء وسبعين وسبعة وأَربعين وأَربعة والقطب هو الغوث للناس، فهذا من موضوعات إِفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي[1] في (سراج المريدين) وابن الجوزي[2] وابن تيمية[3]. انتهىٰ باختصار..

والمقصود أَنَّ أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأُمور ويبينون أَنّها شرك، وإِن كان بعض المتأخرين ممن ينتسب إلىٰ العلم والدِّين ممن أُصيب في عقله

---

(١) هو أبو بكر ابن العربي محمد بن عبدالله الأندلسي المالكي ولد سنة (٤٦٨هـ)، وتوفي بفاس سنة (٥٤٦)هـ، انظر: «شذرات الذهب» (٤/ ١٤١).

(٢) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٣/ ٣٩٧ ـ ٤٠١) ت/ نور الدين بن شكري.

(٣) يظهر أن المؤلف رحمه الله نقل كلام الشيخ صنع الله الحلبي من «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٣٢ ـ ٢٣٥)، وقد طبع كتاب صنع الله الحلبي «سيف الله علىٰ من كذب علىٰ أولياء الله» بتحقيق علي رضا ط. دار الوطن للنشر، والنقل المذكور من (ص١٥ ـ ٦٥) بتصرف.

ودينه قد يُرخِّصُ في بعض هذه الأُمور وهو مخطئٌ في ذلك ضالٌّ مخالفٌ لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين، فكلُّ أَحد مأَخوذ من قوله ومتروك إِلاَّ قول ربنا وقول رسوله ﷺ، فإنَّ ذلك لا يتطرق إليه الخطأ بحال بل الواجب على الخلق اتِّباعه في كل زمان، على أنّه لو أَجمع المتأخرون على جواز هذا لم يُعتد بإجماعهم المخالف لكلام الله وكلام رسوله في محل النِّزاع لأنَّه إِجماع غير معصوم بل هو من زلة العالم التي حُذّرنا من اتِّباعها.

وأَمَّا الإِجماع المعصوم فهو إجماع الصحابة والتابعين ومن وافقهم، وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتبّاعه ولو لم يكن عليه إلاَّ الغرباء الذين أَخبر بهم ﷺ في قوله: «**بدأَ الإِسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»(١) رواه مسلم، لا ما كان عليه العوَّام والطُّغام والخلف المتأَخرون الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، وذكر صديق بن حسن القنوجي في تفسيره (فتح البيان) على قوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا** ﴾ [سورة يونس، الآية: ٤٩]: أَي لا أَقدر على جلب نَفْعٍ لها ولا دفع ضُرٍّ عنها، فكيف أَقدر أن أملك ذلك لغيري ﴿ **إلا مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ استثناء منقطع كما قاله أئمة التفسير وبه قال الزمخشري، وفي هذا أَعظم واعظ وأَبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المناداة لرسول الله ﷺ والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلاَّ الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ ما لايقدر على تحصيله إلاَّ الله سبحانه، فإِنَّ هذا مقام ربِّ العالمين الذي

(١) سبق تخريجه.

خلق الأَنبياء والصالحين وجميع المخلوقين ورَزَقهم وأَحياهم ويميتهم، فكيف يُطلب من نبيٍّ من الأَنبياء أَوملك من الملائكة أَو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه غير قادر عليه، ويترك الطَّلب لربِّ الأَرباب القادر على كل شيءٍ الخالق الرازق المعطي المانع، وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإِنَّ هذا سيد ولد آدم وخاتم الرسل يأَمره الله أن يقول لعباده لا أَملك ضرًّا ولا نفعًا فكيف يملكه لغيره وكيف يملكه غيره ممن رتبته دون رتبته ومنزلته لاتبلغ إلى منزلته لنفسه فضلاً عن أَن يملكه لغيره، فيا عجبًا لقوم يعكفون على قبور الأَموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى ويطلبون منهم الحوائج ما لا يقدر عليه إلاَّ الله عز وجل! كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك ولا ينتبهون لما حلَّ بهم من المخالفة لمعنى لا إله إلا الله ومدلول ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأَعجب من هذا اطّلاع أَهل العلم على ما يقع من هولاء، ولا ينكرون عليهم ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأُولى بل إلى ما هو أَشد منها، فإنَّ أُولئك يعترفون بأنَّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت الضَّار النَّافع، وإنَّما يجعلون أَصنامهم شفعاَء لهم عند الله ومقرِّبين لهم إِليه، وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضُّر والنفع، وينادونهم تارةً على الاستقلال وتارةً مع ذي الجلال، وكفاك من شرٍّ سماعه، والله ناصرٌ دينه ومُطهِّرٌ شريعته من أَوضار الشرك وأَدناس الكفر، ولقد توسل الشيطان أَخزاه الله بهذه الذريعة إلى ما

تقرّ به عينه ويُثْلَج به صدره من كفر كثير من هذه الأمَّة[١]، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون[٢]. انتهىٰ كلامه عفىٰ الله عنه. .

وقد حدثني من لا أتهم أنَّ ناسًا في بلد الزبير قالوا لرجل اسمه سويدان: أَسلِم فقال: أُسلِمُ لِمَن؟ لعبد القادر أَو العيدروس، وعدَّ رجالاً ممن يُعبدون من دون الله، ثم قال: إن كان نبيّكم بهذا أَمر فليس بنبيٍّ، وإن لم يَأمُر بهذا فلستم علىٰ دينه.

* وأمّا ما افتراه الضَّال علىٰ شيخ الإسلام إمام الدعوة النجدية محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وعفىٰ عنه[٣]، فاعلم أنّه لما وقع في آخر هذه الأمة ما أَخبر به نبيُّها ﷺ من اتّباع سنن مَن قَبلها من أهل الكتاب وفارس والروم وتزايدت تلك السّنن حتىٰ وقع الغلوُّ في الدِّين وعُبدت قبور الأَنبياء والصالحين، وجُعلت أوثانًا تُقصد من دون الله ربِّ العالمين، وعَظَّمَها قوم لم يعرفوا حقيقة الإسلام، ولم يشمّوا رائحة من العلم، ولم يحصلوا علىٰ

---

(١) جاء في (ب): (المباركة) بدل (الأمَّة).

(٢) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٧٣ ـ ٧٥) ط. المكتبة العصرية.

(٣) قال الشيخ سليمان بن سحمان في ردِّه علىٰ دحلان:

فويحك كم هذا التجاوز والهذا
وكم ذا التجري والتجاوز للحدِّ

فجوزيت من مولاك شرَّ جزائه
وحلّ عليك الخزي في القرب والبعد

أَتقفوا بلا علم أكاذيب مفتر
وأوضاع أَفَّاك حسود وذي حقد

انظر: ديوان ابن سحمان «عقود الجواهر المنضدة الحسان» (ص٢٣ ـ ٢٤).

شيءٍ من نور النبوة، ولم يفقهوا شيئًا من أَخبار الأمم قبلهم، وكيف كان بدء شركهم ومنتهىٰ نِحْلَتِهم، وحقيقة طريقتهم، وما هذا الذي عابه القرآن عليهم وذمَّه، وتلطَّف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين بأَن دَسَّ عليهم تغيير الأَسماء والحدود الشرعية والألفاظ اللغوية، فسمَّىٰ الشرك وعبادة الأصنام(١) توسلاً ونداءً وحسنَ اعتقاد في الأَولياء، وتشفُّعًا بهم واستظهارًا بأرواحهم الشريفة، فاستجاب له صبيان العقول وخفافيش البصائر، وداروا مع الأَسماء ولم يقفوا مع الحقائق، فعادت عبادة الأولياء والصالحين ودعاء الأوثان والشياطين، كما كانت قبل النبوة وفي زمان الفترة حذو النَّعل بالنَّعل وحذو القُّذة بالقُّذة، وهذا من أَعلام النبوة كما ذكره غير واحد، ولم يزل ذلك في ظهور وازدياد حتىٰ عمَّ ضرره وبلغ شرره الحاضر والباد، ففي كل إِقليم وكل مدينة وقرية ممن ينتسب إلىٰ الإسلام وَلائج يدعونهم مع الله، ويلتمسون بدعائهم قرب الربِّ ورضاه، يفزعون إليهم في الشدائد والمهمَّات، ويلوذون بهم في النوائب والحاجات، وبعضهم لا يَرِد علىٰ خاطره، ولا يُلِمُّ بباله دعاء الله تعالىٰ في شيءٍ من ذلك؛ لاستشعاره حصول مقصوده ونجاح مطلوبه من جهة الأَولياء والأَنداد، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يَعزُّ حصره واستقصاؤه، ولو كان يخفىٰ لعرَّجنا علىٰ ذكره، ولكنَّه أَشهر من الشمس في نحر الظهيرة.

إذا عُرِفَ هذا وتحقَّق فاعلم أَنَّ الله أَطلع شَمسَ الإيمان به وتوحيده في آخر

(١) جاء في (ب): (الصالحين).

هذه الأَزمان على يد من أَقامه الله في هذه البلاد النجدية داعيًا إلى الله على بصيرة مذكِّرًا به آمرًا بتوحيده وإخلاص الدِّين له وردِّ العباد إلى فاطرهم وبارئهم وإلههم الحقِّ[(١)] الذي لا إله غيره ولا ربَّ سواه، ينهى رحمه الله عن الشرك به وصَرْف شيءٍ من العبادات إلى غيره، وابتداع دينٍ لم يأذَن به (الله)[(٢)]، لا سلطان ولا حجة على مشروعيّته، واستدل على ذلك وقرّر وألّف وصنّف وحَرّر وناظر ونَاضَل المبطلين ونازع الغلاة والمارقين حتى ظهر دين الله على كل دين، فتنازع المخالفون أَمره، وجحدوا برهان صدقه، فقوم قالوا: هذا مذهب الخوارج المارقين[(٣)]، وطائفة قالت: هو مذهب خامس لا أَصل له في الدّين[(٤)]، وآخرون قالوا: هو يُكفِّر أَهل الإسلام، وصِنفٌ نسبوه إلى استحلال الدماء والأموال الحرام، ومنهم من عابه بوطنه وأَنّه دار مسيلمة الكذاب، وكلُّ هذه الأَقاويل لاتروج على من عَرَف أَصل الإسلام

(١) في (ب): (وبارئهم الحق وإلههم الذي لا إله غيره).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) قال الشيخ الحسن بن أحمد عاكش الضمدي (ت ١٢٩٠هـ): «سمعت جماعة من علماء العصر يصرِّح بأن مذهبهم مذهب الخوارج... ولكن هذا خروج عن الإنصاف وركوب متن الاعتساف فإن عامة ما هم عليه هو الدعوة إلى التوحيد وترك ما عليه الآباء والجدود من التقليد، وهدم ما أمر الشرع بهدمه... وكلام من تكلّم إنما هو بحسب العصبية وعدم التفطن لموارد الأدلة الشرعية...» انظر: «الديباج الخسرواني» (ص٨٨) ت / أ. د إسماعيل البشري.

(٤) قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن (ت ١٢٩٣هـ) في إحدى رسائله: «فإنَّ الذي قام به شيخ الإسلام لا يقال له مذهب، وإنما يقال له دين وملّة، فإن التوحيد هو دين الله، وملّة خليله إبراهيم، ودين جميع الأنبياء والمرسلين وهو الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفًا وخلفًا...» انظر: «عيون الرسائل والمسائل» (٢/ ٦٤٢) ت / حسين بوا.

وحقيقة الشرك وعبادة الأصنام، وإنّما يَحتجُّ بها قوم عَزَبت عنهم الأصول والحقائق، ووقفوا مع الرُّسوم والعادات في تلك المناهج والطرائق و﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٤]، فهم من شأنه في أمرٍ مريج، وما ذاك إلاّ أنّه أشرقت له شمس النبوة فقصدها، وظهرت له حقائق الوحي والتنزيل فآمن بها واعتقدها، وترَك رسوم الخلق لم يَعْبأ بها ورفض تلك الطرائق والعوائد الضّالة إلى أهلها.

واترك رُسوم الخلق لا تَعْبَأ بها

في السَّعد ما يغنيك عن دُبران(١)

وقد صَنَّف بعض علماء المشركين في الرَّدِّ عليه ودفع ما قرَّره ودعا إليه واستهوتهم الشياطين حتى سعوا في آيات الله معاجزين بغيًا بينهم أن ينزِّل الله من فضله على من يشاء من عباده، وقد بَدَّد الله شَمْلَهم «فتمزقوا أيدي سَبَا»(٢) وذهبت أَباطيلهم وأراجيفهم حتى صارت هَبَاءً، نعم بقيت لتلك الشُّبه(٣) بقيّة بأيدي قوم ليس لهم في الإسلام قدم، ولا الإيمان دريّة(٤)، ليس عندهم من الإسلام إلاّ اسمه، ولا من القرآن إلاّ رسمه، ولا عندهم من العلم النافع ما يخرجون به من زمرة الجاهلين، فصاروا يكذبون

(١) انظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٢/ ٣٨٢).

(٢) ذهب هذا مثلاً وإلاَّ فإنَّ أصله أَنَّ سبأ بن يشجب لما أُنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، فقيل لكل جماعة تفرقوا والمراد بالأيدي الأنفس، وقيل جمع يد وهي الطريق.

انظر: «المستقصى» للزمخشري (٢/ ٨٨) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) في (ب): (الشبهة).

(٤) من كلام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في رسالته لأهل عنيزة انظرها: في «عيون الرسائل» ت/ حسين بوا (١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٣).

ويباهتون، ويحسبون أنّهم مهتدون لعبت بهم الشُّبه(١) والضلالات، وغلبت عليهم الرسوم والعادات يتخافتون بينهم ما تضمَّنته الشُّبه(٢) الشركيّة من الزخارف التي ليس لها أصل في دين المرسلين، فردَّ عليهم رحمه الله من الكتاب والسُّنة وكلام علماء الأُمَّة ما أَدحض باطلهم وكسّر شبههم فصاروا بحمد الله محسورين مكسورين.

حُجَجٌ تَهَافتُ كالزُّجاج تَخَالُها
حقًّا وكلٌّ كَاسِرٌ مكسور

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن سَبَر أَحوال هذا الشيخ وخَبَر حَالَه وسَلِم من التعصب والاعتساف عَلِم يقينًا أنّه بحمد الله مُحقٌّ لا مبطل، وعلى أَصل أَصيلٍ مُؤَصّل ولكن عين الهوىٰ عمياء.

وقد شرح الله صدر كثير من العلماء لدعوته وسُرُّوا واستبشروا بطَلعتِه وأَثنىٰ عليه أَكثر علماء اليمن كالصنعاني وابنه عبدالله(٣) والشوكاني و[حسين بن مهدي](٤) النعمي وأحمد الحفظي(٥) وابنه محمد(٦) وأخوه

---

(١) في (ب): (الشبهات). (٢) في (ب): (الشبهة).

(٣) عبدالله بن محمد بن إسماعيل ابن صالح الأمير الحسني الصنعاني من أعيان صنعاء مولده بها عام (١١٦٠هـ) ووفاته بها عام (١٢٤٢هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٣١).

(٤) في (أ) و(ب): (ومحمد بن الحسين النعمي)، وجاء في هامش (ب): (صوابه حسين بن مهدي).

(٥) أحمد بن عبدالقادر بن بكري العجيلي شهاب الدين الحفظي الشافعي ولد سنة (١١٣٣هـ) وتوفي سنة (١٢٣٣هـ) انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ١٥٤).

(٦) محمد بن أحمد الحفظي ابن عبدالقادر ولد سنة (١١٧٦هـ) في بلدة رُجال في بلاد رجال ألمع من بلدان عسير اشتغل بالتعليم والقضاء. انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٧ ـ ١٨) و«حوليات سوق حُباشة» منشورات نادي جازان الأدبي (ع٣، س٣، (١٤١٩هـ/ ١٤٢٠هـ).

الزمزمي(١) وغيرهم من علماء اليمن، وكذلك عَالِم الأحساء أبو بكر حسين ابن غنام(٢) ثناءهم عليه معروف نظمًا ونثرًا فلا نطيل به(٣)، وكذلك أَولاده من بعده على سُنن الهدى متبعين لآثار السلف، واعتقادهم بحمد الله ومن قَفَى آثارهم اعتقاد السَّلف الصَّالح يثبتون لله ما أَثَّبته لنفسه، وما أَثَّبته له رسوله ﷺ، وما أَثَّبته الصَّحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة بعدهم، فالله يرحمهم ويرضى عنهم.

---

(١) إبراهيم بن أحمد الحفظي بن بكري بن محمد بن موسى لقب بالزمزمي ولد سنة (١١٩٩هـ) من علماء بلدة رُجال توفي سنة (١٢٥٧هـ) انظر: (ص٢٠١) من كتاب «حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر» للضمدي ت/ إسماعيل البشري. ط. مكتبة العبيكان.

(٢) الشيخ أبو بكر حسين بن غنام التميمي النجدي أصلاً الأحسائي مسكنًا. قال ابن بشر في «تاريخه» (١/ ١٥١): وفي سنة خمس وعشرين ومائتين وألف توفي الشيخ العلامة حسين بن غنام الأحسائي من مصنفاته «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين». استقدمه الإمام محمد بن سعود من الأحساء ليعلِّم طلبة العلم في الدرعية النحو. انظر في ترجمته: «علماء نجد» (٢/ ٥٦).

(٣) قال الشوكاني رحمه الله:

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل
فما هو إلا قائم في زمانه ... مقام نبي في إماته باطل

وقال الشيخ محمد الحفظي رحمه الله:

وبعث الله لنا مجددا ... من أرض نجد عالماً مجتهدا
شيخ الهدى محمد المحمدي ... الحنبلي الأثري الأحمد

وقال الشيخ حسين بن غنام الأحسائي رحمه الله:

لقد غاص بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلو الضلال ويرفع

إلى أن قال:

فأحيا التوحيد بعد اندراسه ... وأهوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها ... ومصباحه عال ورياه ضيع

* وأمّا قصته مع الأحسائي(١) فهي في القارعة لا في العاديات، ولم ينقطع الشيخ كما ادّعاه الضّال، ولكن الشيخ كتب له ثلاثة وثلاثين موضعاً من معاني لا إله إلا الله، وقال: إذا أجبتني أجبتك، فانقطع الأحسائي، وآخر من جنسه(٢)، قال: أخبرني عن القطاة من اللطاة، فقال الشيخ: أخبرني عن معنى لا إله إلا الله، فانقطع، ولم يبلغنا أنّه بحمد الله انقطع مع خصم، وأخر عُرِض له في كلام الشيخ الترشيح والتوشيح، فقال: ما نعلم هذا من كلام العلماء، فقال رحمه الله: وَمَنْ أنت حتى تعرف كلام العلماء.

هذا آخر ما قصدنا إيراده في هذه الرسالة على شُغل بال وضَعف حال وقِلة منال من العلم والكمال، وأرجوه إن شاءَ الله مُبطلاً للشُّبه المزيّفة المعارض بها كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

= انظر: «الدرر السنية» لابن قاسم (١٢/ ١٣ ـ ١٨) وقد سبق ذكر شيء من الثناء على هذه الدعوة وأعلامها في مقدمة التحقيق.

(١) هو محمد بن عبدالرحمن بن عفالق (ت ١١٦٤هـ) ألف رسالة بعنوان «تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين»، وقد تضمنت أسئلة تعجيزية تهكمية، ومن أسئلته: «وبعد فأسألك عن قوله تعالى: ﴿والعاديات...﴾ إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية، وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة تحقيقية، واستعارة وثاقية واستعارة عنادية واستعارة عامية واستعارة خاصية واستعارة أصلية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وموضع الترشيح والتجريد فيها وموضع الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب والتشبيه المجمل والمفصل» انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للشيخ عبدالعزيز العبد اللطيف (ص٤٢ ـ ٤٣).

قلت: لعل الشيخ زيد رحمه الله قد اطلع على سؤال آخر بعثه ابن عفالق عن سورة القارعة وإلاَّ فإن المشهور السؤال عن العاديات.

(٢) إلى هنا وُجد من النسخة (ب).

والنَّقصُ في أَصل الطَّبيعة كامنٌ

وبنو الطَّبيعة نَقْصُهم لا يُجحَدُ

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا الذي له الكمال المطلق من كل وجه لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وصلَّىٰ الله علىٰ محمد النبي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسَلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين(١).

* * *

(١) جاء في آخر نسخة (أ): (وقع الفراغ من كتابتها صبيحة الأربعاء لأربعة عشر يومًا خلت من شهر رمضان سنة ١٣٠٦هـ)، وفي هامشه: (بلغ علىٰ أصله).

فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
(١١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ ﴾	٢٥٤	١٤٨
سورة آل عمران		
(١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	(٧)	٦
(٢) ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾	(٧)	١١٤
(٣) ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾	(٧)	١١٤
(٤) ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾	(٣٨)	٩٩
(٥) ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	(١٤٤)	٩٨
(٦) ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾	(١٦٩)	٩٥
(٧) ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	(١٨٥)	٩٥، ١٧٥
(٨) ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾	(١٩٣)	٨٣
سورة النساء		
(١) ﴿ تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ (١)	(١)	٨١
(٢) ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾	(١٤)	٦٣

الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
(٣) ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾	(٣٦)	١١٧
(٤) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾	(٤٨)	١٣٠،١١١
(٥) ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	(٥٩)	٦٢
(٦) ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾	(٦٤)	٦٥
(٧) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾	(٦٥)	٦١
(٨) ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	(٨٠)	٦٢
(٩) ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾	(٨٧)	١٣٠
(١٠) ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾	(١١٥)	١٢٤،١٧٤
(١١) ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾	(١٧١)	١٦٤
(١٢) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾	(١٦٤)	١٣٤

الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
المائـدة		
(١) ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾	(٣)	١٣٣
(٢) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	(٣٥)	٨٠
(٣) ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾	(٧٢)	١١١
(٤) ﴿ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾	(٨٩)	٧٠
(٥) ﴿ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾	(١٠٤)	١٨٣
الأنعام		
(١) ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾	(٥١)	١٤٦
(٢) ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	(٥٩)	١٣١
(٣) ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	(٦٣)	١٧٦
(٤) ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	(٨٨)	١٣٠
(٥) ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾	(٩١)	١٢٦
(٦) ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾	(١١١)	١٢١
(٧) ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	(١١٦)	١٢٠
(٨) ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	(١٥٥)	١٣٩

الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الأعراف		
(١) ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	(٣)	٥٩، ١٣٩
(٢) ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾	(٢٣)	٨٥
(٣) ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾	(٢٩)	٧٧
(٤) ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	(٣٣)	١١٤
(٥) ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ﴾	(٥٥)	١٠٥
(٦) ﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾	(١٠٢)	١٢١
(٧) ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾	(١٣٨)	١٥٩
(٨) ﴿ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	(١٤٩)	١٠٢
(٩) ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾	(١٨٨)	١٢٤
التوبة		
(١) ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾	(٣٦)	١١١
(٢) ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ ﴾	(٦٥)	١١٢، ١١٣
(٣) ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ ﴾	(٦٦)	١١٣

الآيــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
(١) ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾	(٧٤)	١١٣
(٢) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ ﴾	(١١٣)	١٢٩
(٣) ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾	(١٢٩)	١٢٨
يونس		
(١) ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	(١٨)	١٤٠،١٤٢
(٢) ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	(٣١)	٨٩،١٤٥
(٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	(٥٧)	١٣٣
(٤) ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾	(٦٦)	٢٢
(٥) ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	(١٠٦)	١٣٧،٨٨
هـود		
(١) ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	(٤٧)	١٢٨،١٠٢
(٢) ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾	(١٢٣)	١٣١

الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الإسراء		
(١) ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً ﴾	(٥٦)	١٥٣
(٢) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾	(٥٧)	١٥٠
(٣) ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	(٦٧)	١٠٧
الكهف		
(١) ﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾	(٥)	٥
(٢) ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا ﴾	(١٧)	١٥٣
مريم		
(١) ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾	(٣)	٩٩
(٢) ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾	(٣٠)	٩٨
طـه		
(١) ﴿ يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلاً ﴾	(١٠٩)	١٤٦،١٤٩
(٢) ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾	(١١٣)	١٦٠،١٣٣

الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
(٢) ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾	(٥٤)	٦٢
الفرقان		
(١) ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾	(٣)	١٥٠
(٢) ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾	(٢٦)	١٢٥
(٣) ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾	(٥٨)	١٢٨
الشعراء		
(١) ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	(٨)	١٢١
(٢) ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾	(٢١٣)	١٣٧
النمل		
(١) ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾	(٦٠)	١٧٤
(٢) ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾	(٦٢)	١٧٦
القصص		
(١) ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾	(١٥)	١٠٠
(٢) ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	(٢٤)	١٠٣
العنكبوت		
(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾	(٤٢)	٢٢
(٢) ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	(٦١)	١٥٠

الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
لقمان		
(١) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾	(٣٤)	١٣٢
السجدة		
(١) ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾	(٤)	١٤٦
سبأ		
(١) ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	(٢٣)	١١٦
(٢) ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾	(٢٣)	١٤٧،١٤٦
(٣) ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ...يَعْبُدُونَ ﴾ (٤٠)	(٤٠)	١٥٠
فاطر		
(١) ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ (٣)	(٣)	١٧٤
(٢) ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾	(١٣)	١٣٧،٨٨ ١٧٤
يس		
(١) ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾	(٢٣)	١٧٧
الصافات		
(١) ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾	(٣٦)	١٧٧
ص		
(١) ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾	(٥)	١١٨

الآيـــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الزمر		
(١) ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	(٢)	٩٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٧
(٢) ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾	(٣٠)	١٧٥
(٣) ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ﴾	(٤٢)	١٧٥
(٤) ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾	(٤٣)	١٧٧، ١٤٥
(٥) ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾	(٤٤)	١٤٩، ١٤٦
(٦) ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	(٤٥)	١٧٥، ١٦٨
غافر		
(١) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	(٦٠)	١٤٠، ١٠٦
(٢) ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾	(١٦)	١٣٥
الزخرف		
(١) ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾	(٣٦)	١٣٣
الأحقاف		
(١) ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾	(٥)	٨٨
(٢) ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾	(٦)	١٣٦، ١٣٧

***

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الموضوعات

***